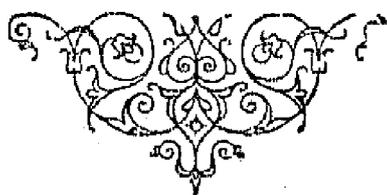


## مقدمة

اما بعد الحمد لله تعالى فهذه رسالة تشهد لمصنفها بالفضل الباهر  
كما يشهد النور للمصباح الزاهر . وتخبّر عن ادبه الوافر كما يخبر  
النسيم عن شذا الروض العاطر . عثرتُ عليها في خزانة كني وقد  
توارت بالحجاب . فوجدتها آيةً في الحسن يعتبر بها ذوا الالباب  
واثراً من احسن الآثار القديمة لا تعادله قيمة . بل درّة يتيمة لم  
تزل مكنونة في الصدف . وهي مما لا يُظفر به الا في نوادر الصدف  
فآثرت ان اتحف بها القراء من ابناء هذه اللغة رجاء ان  
يندبروا بما اشتملت عليه من الحكم والنصائح والفوائد مسبوكةً في  
قالب الفكاهة قلائد من عقيان ومنظومة في سلك الفصاحة  
عقوداً من جمان وفي كلام مصنفها عنها ما يعني عن زيادة البيان  
قال وهذه رسالة دعوة الاطباء على مذهب كلية ودمنة تشتمل  
على مزحٍ يبسم عن جيدٍ وباطلٍ ينطق عن حقٍّ وخير القول  
ما اغنى جيدُه والهي هنله صنفاً ابو الحسن الخنار بن الحسن  
بن بطلان للامير نصر الدولة ابي نصر احمد بن مروان من امثال  
الحكماء وكلام البلاء ونوادر الفلاسفة ليجد العالم فيها ما يوافق

طريقته وينتاد ان تعلم بسهولة لتسهيل غرضه فيقرب عليه تناوله  
ويظهر للقارئ فضل الاطباء المهرة وعجز المتفكرين بهذه الصناعة  
وقد صدرتها بترجمة المصنف نقلاً عن كتاب عيون الانبياء  
في طبقات الاطباء بياناً لفضله وتعريفاً له باصله وفصله ولم اتصد  
لتفسير شيء مما جاء في هذه الرسالة الا ما اقتضاه التصحيح والتنزيب  
تفادياً من الفاظ وعبارات لا يألفها ذوق الادباء من ابناء هذا  
العصر وعلقت شرحاً على ما كان منها عويص الكلام ليعم نفعها  
ويزدان بحياة الكمال طبعها والله المستول ان ينفع بها المطالعين  
وهو حسبنا ونعم الوكيل

بشارة زلزل



ترجمة المصنف نقلاً عن عيون الانباء في طبقات الاطباء

## لابن ابي أصيبعة

ابن بطلان "هو ابو الحسن الخنار بن الحسن بن عبدون بن سعدون بن بطلان نصراني من اهل بغداد وكان قد اشتغل على ابي الفرج عبدالله بن الطيب وتلمذ له واتفق عليه قراءة كثير من الكتب الحكمة وغيرها ولازم ايضاً ابا الحسن ثابتاً بن ابراهيم بن زهرون الحراني الطيب واشتغل عليه وانفع به في صناعة الطب وفي مزاولة اعمالها. وكان ابن بطلان معاصراً لعلي ابن رضوان الطيب المصري وكانت بين ابن بطلان وابن رضوان المراسلات العجيبة والكتب البديعة الغريبة ولم يكن احد منهما يؤلف كتاباً ولا يتدع رأياً الا ويرد الآخر عليه ويسفه رأيه فيه وقد رأيت اشياء من المراسلات التي كانت فيما بينهما ووقائع احدهما بالآخر. وسافر ابن بطلان من بغداد الى ديار مصر قصداً منه الى مشاهدة علي بن رضوان والاجتماع به. وكان سفرة من بغداد في سنة ٤٣٩ ولما وصل في طريقه الى حلب اقام بها مدة واحسن اليه معز الدولة شمال ابن صالح بها واكرمه اكراماً كثيراً وكان دخوله الفسطاط في مستهل جمادى الآخرة من سنة ٤٤١ واقام بها ثلاث سنين

وذلك في دولة المستنصر بالله من الخلفاء المصريين وجرت بين ابن بطلان وابن رضوان وقائع كثيرة في ذلك الوقت ونوادير خريفة لا تخلو من فائدة. وقد تضمن كثيراً من هذه الاشياء كتاب ألفه ابن بطلان بعد خروجه من ديار مصر واجتماعه بابن رضوان ولابن رضوان كتاب في الرد عليه وكان ابن بطلان اعذب الفاظاً وأكثر ظرفاً واميز في الادب وما يتعلق به ومما يدل على ذلك ما ذكره في رسالته التي وسمها "ب دعوة الاطباء"، وكان ابن رضوان اسود اللون ولم يكن بجميل الصورة وله مقالة في ذلك يرد فيها على من عيره بتقبح الخلقة وقد بين فيها بزعمه ان الطبيب الفاضل لا يجب ان يكون وجهه جميلاً. وكان ابن بطلان اكثر ما يقع في علي بن رضوان من هذا القبيل واشباهه ولذلك يقول فيه في الرسالة التي وسمها بوقعة الاطباء

فلما تبدى للقوايل وجهه نكصن على اعقابهن من الندم

وكان يلقبه بتمساح الجن وسافر ابن بطلان من ديار مصر الى القسطنطينية واقام بها سنة وعرضت في زمنه ابواب كثيرة وتقلت من خطه فيما ذكره من ذلك ما هذا مثاله قال ومن مشاهير الاباء في زماننا الذي عرض عند طلوع الكوكب الآثاري في الجوزاء من سنة ٤٤٦ فان في تلك السنة دُفن في كنيسة توما بعد

ان امتلأت جميع المدافن التي في القسطنطينية اربع عشرة الف  
نسمة في الخريف فلما توسط الصيف في سنة ٤٤٧ لم يوف النيل  
فمات في القسطنطية والشام أكثر اهلها وجميع الغرباء الأ من شاء  
الله وانتقل الوباء الى العراق فاتي على أكثر اهلها واستولى عليه  
الخراب بطروق المساكن المتعادية واتصل ذلك بها الى سنة ٤٥٤  
وعرض للناس في أكثر البلاد قروح سوداوية واورام الطحال  
وتغير ترتيب نواب الحيات واضطرب نظام البحارين فاختلف علم  
القضاء في تقدم المعرفة... وبعد ذلك كلام على ما كانوا يعتقدون  
من تأثير الاجرام في حدوث الاوبئة الى ان قتل أسماء بجملة من مشاهير  
العلماء الذين فقدوا بالابواء العظيمة في زمانه في مدة بضع عشرة  
سنة منهم الأجل المرتضى والشيخ ابو الحسن البصري واقضى القضاء  
الماوردي وابن الطيب الطبري ومهيار الشاعر وابو العلاء  
المعري وابو الحسن الصائغ وابو الفتح النيسابوري . وصاعد  
الطبيب وابو النرج عبدالله ابن الطيب ، اقول "ولابن بطالان اشعار  
كثيرة ونوادير ظريفة وقد ضمن منها اشياء في رساله التي وسمها  
بدعوة اطباء وفي غيرها من كتبه وتوفي ولم يتخذ امرأة ولا  
خلف ولداً ولذلك يقول من آيات  
ولا احد ان مثي بيكي لميني سوى خلصي في الطب والكتب باكي

ولابن بطلان من الكتب ككتاب الاديره والرهبان . كتاب  
شراء العبيد وقياس الممالك والجواري . كتاب تقويم الصحة .  
مقالة في شرب الدواء المسهل . مقالة في كيفية دخول الغذاء في  
البدن وهضمه وخروج فضلاته وسقي الادوية المسهلة وتركها .  
مقالة الى علي بن رضوان عند وروده الفسطاط سنة ٤٤١ جواباً  
عما كتبه اليه . مقالة في علة ثقل الاطباء المهرة تقدير اكثر الامراض  
التي كانت تعالج قديماً بالادوية الحارة الى التدبير المبرّد كالفاالج  
والقوة والاسترخاء وغيرها ونخالفتهم في ذلك لمسطور القدماء في  
الكنانيس والاقربا اذينات وتدرجهم في ذلك من العراق وما والاها  
على استقبال سنة ٣٧٧ الى سنة ٤٥٥ وصنف ابن بطلان هذه  
المقالة بانطاكية في سنة ٤٥٥ وكان في ذلك الوقت قد اهل لبناء  
بمارستان انطاكية . مقالة في الاعتراض على من قال ان الفرج  
احرّ من الفروج بطريق منطقية انها بالاهرة في سنة ٤٤١ .  
كتاب المدخل الى الطب . كتاب دعوة الاطباء اليها للامير نصر  
الدولة ابي نصر احمد بن مروان وثقلت من خط ابن بطلان  
وهو يقول في آخرها: فرضت من نسخها انا مصنفها يوانيس الطيب  
المعروف بالخنار بن الحسن بن عبدون بدير الملك التنجي قسطنطين  
بظاهر القسطنطينية في آخر ايلول سنة خمس وستين وثلاثمائة والف

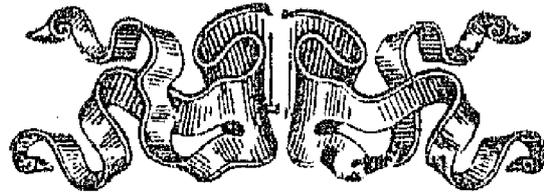
( ١٣٦٥ ) هذا قوله ويذكرن ذلك بالتاريخ الاسلامي من

سنة ٤٥٠ . كتاب وقعة الاطباء . كتاب دعوة

القسوس . مقالة في مداواة

صي عرضت له حصة

م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذه رسالة دعوة الاطباء على مذهب كلية ودمنة  
تشتمل على مزح يبسم عن جد وباطل يبطق عن حق ،  
وخير القول ما اغنى جده والهى هزله ، صنفاها ابو الحسن  
المختار بن الحسن بن بطالان للامير نصر الدولة ابي نصر  
احمد بن مروان (١) من امثال الحكماء وكلام البلغاء  
ونوادر الفلاسفة ليجد العالم فيها ما يوافق طريقته ويتقاد

(١) هو ابو نصر احمد بن مروان بن دوستك الكردي الحميدي  
الملقب صاحب الدولة نصر الدين صاحب ميافارقين وديار بكر ملك  
البلاد بعد ان قتل اخوه ابو سعيد منصور بن مروان في قلعة الهنتاج  
ليلة الخميس خامس جمادى الاولى سنة ٤٠١ هـ وكان رجلاً مسعوداً على  
الهمة حسن السياسة كثير الحزم قضى من اللذات وبلغ من السعادة  
ما يقصر الوصف عن شرحه وحكى ابن الازرق الفارقي في تاريخه انه  
لم ينقل ان نصر الدولة صادر اهداً في اياه سوى شخص واحد  
قص قصته..... عاش ٧٧ سنة وكانت امارته ٥٥ سنة

نقلا عن ابن خلكان

المتعلم يسهّلها الى تسهيل غرضه فيقرب عايه تناوله ، ويظهر  
للقارىء فضل الاطباء المهرة وعجز المخرفين بهذه الصناعة  
وهي انا عشر قسماً

الاول منها في فاتحة الكتاب ومدح ، بغداد ودم ميافارقين  
لما فيها من الكساد الثاني في ذكر مجالس الطعام وايراد الحجج  
التي تحمي عن الاكل فيما يقدم من الالوان الثالث في نعت  
مجلس الشراب واللذة وذكر ما جرى من المسائل الرابع  
في اعتبار الطبائعي بمسائل توضح فضله وتظهر جهله الخامس في  
سؤال الكحال عما لا يسهه جهله السادس في اعتبار الجرائحي بمعرفة  
التشريح والمنافع السابع في امتحان الفاصد بالاحتاج الى معرفته من  
المنافع الثامن في اعتبار الصيادلة بمعرفة العقاقير والادوية التاسع في  
غيرة الاطباء وتعابيرهم على المرضى العاشر في اعتذار الطبيب  
المضروف ودم الصارف له الحادي عشر في استهانة العامة بالصناعة  
الطبية والرد عليهم الثاني عشر في خاتمة الكتاب وذكر سبب

انقطاع الزيارة والاجتناب ونسأل الله ان يوفقنا لدرك  
الاعراض الصحيحة، والاتفاظ الفصيحة، ليكون مائتاً  
به مالكاً لرضي من حث على نظم منتثره وجمع منتثره،  
انه جواد مجيد قريب محيب .

﴿ الاول في فاتحة الكتاب ﴾

قال بعضهم لما دخلت ميفارقين سألت عن بها من  
المتطيين. فارشدت الى دكة بالطارين عليها شيخ من ابناء  
السبعين. مرهف الشماليل حلو الدعابة عذب الفكاهة حسن  
المأرضة متميز عن اضرابه متشبهت باذيال الادب ذو براءة  
في صناعة الطب قلت نحوه مسلماً فرد علي السلام. واوسع  
لي المكان وتلقاني بالاكرام والاعظام . وقال من انت قلت  
غريب رمت بي الاقدار الى هذه الديار. قال وما صناعتك  
قلت طيب. قال انفع الصنائع، واربح البضائع، ومن اين  
اقلت قلت من بغداد. قال بغداد سرّة الدنيا وقطب الارض

وعرصة الأدب ومعدن الفضل ودار السلام وحضرة  
الامام وقبة الاسلام والنشد

احبُّ الحلول بتلك الطلولِ وجرَّ الذبولِ بذاك المقامِ

دخلتها قديماً لطلب العلم وزمانها كالربيع الممرع وياؤها  
كالاعياد والجمع ، وترابها ائمة تكتحل به الاحداق . وحصاها  
در تقلد به الاعتناق ، وبضائع العلماء قائمة المواسم والاسواق  
ولقيت بها ابن الحمار وابن عبدان ونظيف بن يمن القيس  
وابن نكس وانا الوفاء المهندس ، قات له ليم رحلت عنها  
أملت المقام بها فانشد

لعمرك ما فارقتها عن قلبي بها واني بشطبي جانبيها لعارف

قلت فكيف سمعت نفسك بمفارقة هؤلاء الفضلاء وهم  
كانوا لك الغرض الاقصى ، فقال والله يا سيدي ما صعدت  
الى هذه البلدة وقد بقي من القوم احد قات ثم ماذا قال  
ثم انتقضت تلك السنون واهلها فكأنها وكانهم احلام

ويبرز عليّ ما فعل الدهر باوائك الانجم الزهر فقد فقد  
والله العلم بفقدهم ومات الفضل بموتهم ، ولعلمهم ياسيدي  
لو عاشوا الى زماننا هذا لما اتوا قبل اوانهم قل الطالب وزهد  
الراغب وصارت الكتب تباع على العطارين للحوائج وعلى  
الذهبيين للسفاحج وعلى الملاحين للمزاود هذه والله صناعة  
دثرت وخدمت نارها وطفيت وصدار المتعرض لها غرضه  
التكسب لا التطيب وقد قيل انه بالحكمة تطبُّ الابدان  
وبالدراهم تمرض الحكماء فاذا رأيت الطبيب يجر الداء الى  
نفسه فتى يداوي غيره شعر

وهل يرجي لذي سقم شفاء اذا ما كان سقمه الطبيب

ثم قال لي فانت لم لم تقم ببغداد فقلت شعر

تقيم الرجال الاغنياء بارضهم وترجي النوى بالمعسرين المراعيما

اما سمعت قول الشاعر

بغداد دار لاهل المال طيبة وللمفاليس دار الضنك والغبوق

ظلمت حيران امشي في ازقتها كأنني مصحف في بيت زنديق  
قال صدقت ولكن عرفني لم قصدت هذه الديار قات  
لزيرة عمر الزعفران ونيتي الارتسام بالطب ان طابت لي  
هذه البلاد فاضطرب اعزيمتي وقال هيهات يا هذا لأن  
تسمع بالمعدي خير من ان تراه ، خاب والله سمعك ،  
وكبا زندك ، وليتني كنت مثلك خالي العذار فاهرب من  
هذه الديار ، فما يتأتى لي بها مقام لانني وردت اليها وبها  
قوم يحسن عليهم الشاء ويقبح عند تقريرهم الاستثناء ، ان  
اجتمعوا حسبهم جوهرًا منظومًا ، واذا تفرقوا خلتهم  
لوءلوءًا مشورًا

شعر

من تاق منهم نقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري  
قلت فما فعل الدهر بهم قال ماتوا والله هم واولادهم وغلماهم  
ولكن بمد ما اتمبوا خاطري واسهروا ناظري في علاجهم  
الى ان قضى الله بموتهم قلله درهم وسقى صوب الغمام

قبورهم فانهم كانوا كفوني مؤونة الزمان مدة حياتهم  
 وكنت في تضاعيف برهم لا اخلو من صبية تفظم او غلام  
 يخنن او مقصود اول فصادة او مريض ادخله الحمام دع  
 هدايا الاعياد والنواير وما يتحصل من زبون الدكان فانه ما  
 كان يموت لي مريض الا وقد مرض لي عوضه انسان فانا  
 في تضاعيف ذلك في فلك من العجب والتجمل كائني قر واش  
 بن المقلد او ملك ميافارقين وآمد . واليوم اذا انقطع الوتر  
 فصدنا عرقين بدائق . ولولا ان عندي بقية من موسم  
 سنة الخوانيق ارمق بها والا كت من الهالكين . واظرف  
 من هذا باسره انه كان في كل خريف تكثر الامراض .  
 وفي كل خمس سنين يعرض وباء وموت . فمذ يوم ملك  
 بن مروان هذه الديار كسدت الصناعة وبارت البضاعة  
 وصحت الاجساد وانكشف الوباء عن هذه البلاد وانقطعت  
 ظلة الخوانيق . وكانت قل ما فارقت الخلق . وبطلت

الأمراض الحريفة وكان موسماً مألوفاً معروفاً فصرنا لا نرى مريضاً الا في كل حين ولا نشاهد جنازة الا في كل زمان بعيد ولا نسمع صراخاً الا في كل دهر مديد حتى كأن اقبال الأمير قد عصم الأبدان من الاسقام وحصن الاعضاء من الآلام او كأنه من بين آل مروان قد اخذ للخات من الدهر الامان. فإني الناس الا من ينشد فيه شعر الحسن بن هاني :

علقتُ بجبلٍ من جبالِ محمدٍ      أمنتُ بهِ من طارقِ الحدّانِ  
تغطيتُ من دهري بظلِّ جناحه      فهبني ترى دهري وايس يراني  
فلوقيلَ للايام ما اسمي مادرت      واين مكاني ما عرفنَ مكاني  
يا سيدي ما اسعده على نفسه والناس ، وما أثقل رجلاه  
علينا منذ يوم ولي ديارنا ما يفكر احد فينا ولا يحتاج الينا  
ولا يلتفت نحونا بعد ان كان الطيب في هذه البلد اعزّ  
من جبهة الاسد ، اليوم جمهور الحفارين والجمالين قد بعدوا  
عن هذه الديار وتشتتوا في القرى والامصار. واشتغل اكثرهم

بالزروعات وسوق العجل والقدان . ونقل الجبصين من  
روؤوس الجبال الى البلدان . وربما يلقائي البطال منهم فاسكن  
منه لوعته ويقول ربما عاد ذلك الزمان شعر

عسى الايام ان يرجعن قوماً كما كانوا على اقصى المراد  
يا سيدي عن اي شيء اخبرك من تلك الايام . والله لقد  
كانت تخرج الجنائز الى المقابر بالثياب الديباج كأنها زهر  
البستان واقدم عدت في يوم من ايام الوباء ما قد خرج من  
باب واحد من الجنائز فكان مايتي جنازة ممن كنت اطبها  
انا سوى من كان يطبها هذا الطيب الذي في جوارسي  
وكانت تقف لي كل يوم على باب داري خمسون بغلة من  
بغال الجند والكتاب سوى رسل التجار ومن تلك السنة  
صرت آية من عمارة بن حمزة واعتر من عمر بن معاذي  
كرب فن لنا بذلك الموسم واتشد

قد ذقت منه ما ليس يقلمه ابو الحسين القلاع من ضرمي  
يا اخي اين كنت واهل هذه البلاد لا ترى فيهم صحيح

المزاج ولا مستغنياً عن التداوي والملاج . والجنائز تجلى  
 كالمرأس وتحط على المقابر كالنجوم الزواهر . واصوات  
 الصوائح في المآتم والنوائح كترنم المزاهر . واصطخاب  
 الآلات والمزامير . وفسلوا الموتى لا يوصل اليهم الا  
 بالملاطعات . والاطباء يترجمون على دكاكينهم بالمهاري والبغلات  
 اليوم وحقك الناس متشاغلون بتصفية القناني . والاقذاح  
 واختيار الملاهي والغواني . والضرب على المثالك والمانى  
 والعناء بشمر الحسن بن هانى :

قد طلقنا من الامير حبالاً أمننا طوارق الحدنان  
 يا سيدي ابي شيء تعمل في هذا البلد والله اني ابقي اليوم  
 والشهر لا يسألني انسان حاجة ولا تجتاز بي جنازة . واذا  
 سهل الله وجاءنا صريض كان كما قال المثل اذا كسد احجاب  
 القلائس وجاءهم زبون معوجوا الرؤوس . وقد والله  
 يا سيدي سئمت نفسي هذا البلد ومانى اهله . لان الماء اذا

وقفت ظهر نذته . واذا كثر ليشه . ظهر خبثه . ولقد حدثتني  
نفسى دفعات بالخروج منه ثم اقول الى اين اخرج ولين  
أقصد واين اتقرب وما بقي اقل مما مضى ومع اليوم غدا .  
وما يقعدني الا الالف . والزمان كلما صرّ جآء الى خلاف .  
كلّ هذا غرضه ان يبفض لي المقام . ثم قال حدثني ما  
تعمل في غمر الزعفران . قلت يا سيدي سمعت جالينوس يقول  
ان قياس طب الهياكل الى طبنا كقياس طبنا الى طب  
الطرقات . وانا رجل ضعيف المعدة ناقص الشهوة . وما  
ابقيت دواءً الا شربته وما نفني وقد وصف لي ان  
في هذا العمر رجلاً من فضلاء الرهبان الذين رأوا الدنيا  
بمين الحقيقة فاطرحوها عن خبرة بها فانا امضي للقاءه  
والتبرك بدعائه . فضحك الشيخ مني حيناً وقال ما اشبه  
هذا منك الا برجل رمدت عيناه فلقية صديق له فقال  
له ارى وجع عينيك قد طال فبماذا تعالجهما قال بدعاء الوالدة  
فقال له لو اضفت اليه قليل اندروت لكان اسرع في الاجابة .

وكذلك انت لراحتت عن دعاء الرهبان بمعجون الزامهران  
كان ابلغ في تقوية المدة وتبنيه الشهوة . وهذا دواء عندي  
عملته لنفسي وانا اواسيك منه بما تنفع به . هات عرفني  
كيف هضم معدتك للطعام وكم مقدار غذائك في هذه  
الايام . قلت اما شهوتي فعلى غاية التقصير وغذاءي نزر  
يسير . فلما نظر الشيخ مني الى ضعف المدة وقلة الشهوة  
قال اتقوم الى البيت يافديتك لنا كل شيئاً وتحدث فقد  
آنت بك لانك لست من اهل هذا البلد فتخرج حديثنا  
الى احد . وقلا آنت بانسان . وما انا مع الاخوان  
والاصحاب . الا كلع السراب .

عدوك من صديقتك مستفاد فلا تستكثر من الصحاب .  
لان الداء اكثر ما تراه يكون من الطعام او الشراب .  
فتممت وحلفت له اني قدا كنت فالح علي فقمتم الى داره  
وجلسنا ساعة نتحدث واذا الغلام قد آتى بطبق عليه منديل  
وفوقه خبز وخل وبقل فلما وضعه بين ايدينا قال :

وما الخصب للاضياف ان تكثر القري . ولكننا وجه الكريم خصيب  
أضحك ضيفي قبل انزال رحله . فينصب عندي والحل جديب  
ثم قال يا سيدي نحتاج ان نمتذر فالمامة تقول اذا طرقت  
فما حضر واذا دعيت فلا تذر، ولكن الايام طوال . واخذ  
رغيفاً وقال ، رحم الله العجوز لقد كانت لها عناية حسنة  
بالخبز وهي علمت هذا الغلام يخبز هذا الخبز كل يا سيدي  
فانه مغسول الخنطة، مختمر العجين . معتدل الملح خانجي  
الظاهر . مورد الوجه . علك المضع . سريع الهضم ملائم  
الجسم ثم اخذ طاقة هندباء . وقال اعلم يا سيدي ان الهندباء  
انواع اجودها الرقيقة فانها خير من غيرها واصلح في  
اصلاح الكبد واسرع في تفتيح السدد وكثيراً ما سقي  
مآؤها مع الراوند انظر ياسيدي الى عرض ورقها وصفاء  
خضرتها وتطعم عذوبة طعمها ورطوبتها وبردها لا سيما اذا  
اكلت فخير ان تؤكل مع هذا الخل الثقيف انظر اليه فما  
معولي في دفع الصفراء الا عليه . ولكن لا حيا الله هذا

الغلام فانه غلط منذ ايام وقدم اليّ منه شيئاً قليل المزاج  
فاكلت منه شيئاً على اغترارٍ بهِ فما ان حصل منه يسير على  
لساني حتى طار الى حلقي ورأسي فبادر رعافي وسالت  
دموعي واتصل بي السعال وبقيت متألماً عدة ايام ثم  
قال كل منه واحذره . فلما هممت بالاكل قال ألت على النية  
في الحمية قلت لعلي اختار يوماً لذلك ، قال اعظم من  
الذنب اليأس من الرحمة واشد من الخطيئة المماطلة بالتوبة  
وشرٌّ من المرض التسوية بالحمية . وقد قيل ان الشفيح  
المتخلف عدو طالب الحاجة والطبيب المهتجم رسول ملك  
الموت والمريض المخاط كدودة القز التي كلما ازدادت سمياً  
ازدادت من الحيوة بعداً قلت يا سيدي انا والله كاره  
للحمية فقال لعمري ان الحمية صعبة ولكن افضل الاعمال  
ما اكرهت عليه النفوس وفيثاغورس يقول من ساس  
معدته فقد قرب جميع الاعضاء من الاعتدال وانت تحكم  
الصناعة ما كنت اظنك تحتاج الى بعض هذا فانه قبيح

بالطبيب ان يرى مخلطاً كما انه فيصح بالتهقيه ان يكون فاسقاً  
فاستخر الله وامض المزيمة في الحمية وانظر الى الغذاء  
نصوره اذا استحال في غده فما احسن ما قال سقراط  
وقد اجتاز على كساح قد اخرج من حش كساحة (١)  
يا اهل ايننا هذا الذي كنتم تغلقون عليه ابوابكم وتقيمون  
لحفظه الخزان وكانت شهواتكم تستخدم عقولكم في اعداده  
اليوم نفوسكم أنفة منه وطباعكم نافرة عنه . وحواسكم  
مع هذا ايضاً تروم مثل ما كان هذا عنه . ثم قال كل وتدبر  
بما قد سمعت فان هذه النصيحة متلقاة بالتحية وهذه  
الموعظة موشحة بالحكمة . فلما بدأت بالاكل أمسك يدي  
وقال اسمع كلاماً ينفعك فيما شكوت ويقرب عليك صحتك اعلم  
ان مداواة الامراض ضبط الشفتين والرفق باليدين واخذ  
المريض نفسه بموجب العقل لا بدواعي الهوى والجهل فان

(١) الكساحة ما يكسح من زبالة ونحوها والحش البستان ويكنى

المقل يتمس من الاغذية انفعها والهوى يطالب من الاطعمة  
اشهاها والذها وقلم يجتمع في الشيء النفع والذادة  
فان النفع قلم يكون في الغذاء والذادة قل ما توجد في  
الدواء فايك ان تتلذذ بحلاوة الغذاء فتتنقص بمرارة الدواء  
وانشد

فان المر حين يسر حلو وان الحلو حين يضر مر  
فخذراً تصادف منه نفعاً ولا تبدل الى حلو يضر  
وايك ان تؤثر لذة عاجلة فانها على المرء مضره آجلة لاسيما  
وانت مريض وقد امتلأت من الغذاء قلت باسيدي قد  
انهضم وانامشته للطعام فقال جوع كذاب وشهوة كالسراب  
وانشد

وللهضوم مواقيت مقدره وكل شيء له حد وميزان  
فلاتكن عجلاً في ما تحاوله فليس يحمد قبل النضج مجران  
قلت فما رأيك في التقدير قال الراي التوقف فان الداء  
الدوي ادخال الطعام على الطعام وهو الذي افنى البرية

وقتل السباع في البرية فان التخمّة اذا بقيت اتلفت واذا  
تحللت ضيفت وبقراط يقول لا تقترّ بامرٍ جرى على غير  
القياس مثل جوع مجده المريض قبل النقاهاة . قلت يا سيدي  
اما تعلم ان القديماً يقولون ان القوة للمريض كان زاد للمسافر  
والمرض كالمسافة ولهذا يجب ان لا يهمل الطبيب امر  
القوة خوفاً من سقوطها قبل منتهى المرض . قال وما عامت  
ان بقراط يقول ان الابدان غير النقية كلما غذوتها زدتها  
شرّاً قلت صدقت ولكن القديماً ايضاً يقولون ملّ مع  
المريض في بعض شهواته فان الطعام الشهويّ وان ضرّاً خيراً  
من غير الشهوي وان نفع . قال الشيخ هذا صحيح الا ان  
القديماً ايضاً يذكرون ان الابدان المملوءة بالفضول تحيل  
الاغذية وان كانت جيدة الى طباعها . قلت وقد قالوا ايضاً  
اطرح العلاج بالدواء ما امكن التدبير بالغذاء . قال الشيخ  
الذي اعلم انك رجل معدتك رديئة واحشأؤك ليست  
نقية ولا آمن عليك ان دنوت من الطعام ان تقع في بلية

قلت يا سيدي انا آكل واستمين بالله . قال الشيخ لا حول  
ولا قوة الا بالله . اذا انقضت المدة كان الحيف في المدة  
فاضربت عن كلامه ثم همت بالاكل فقال الشيخ مهلاً مهلاً  
اعلم شفاك الله ان صورة العلم عند العقل كصورة الغذاء  
عند الجسم الا ان برداءة الغذاء يهلك الجسم ويهبط هو  
والنفس الى اسفل السافلين وبمحققة العلم تصفو النفس  
وتتصحب معها الجسم الى عليين ومقر الروحانيين ومقام  
المزومعدن الهياء والفوز . والحكيم بقراط يقول ليس بالخبز يحيي  
الانسان بل بكل كلمة طيبة وسقراط يقول ان احببت ان  
تأكل فلا تأكل حتى تأكل . وافلاطون يقول آكل  
لا تعيش لا تعيش لا تأكل فإياك ان تهجم على الاكل لكن  
تأمن وتمهل وكن كالخياط الفارة (١) الذي يقدر الف مرة  
حتى يقطع فما في العجلة خيرٌ وخذ بقول الاول  
قد يدرك المتأني حسن حاجته وقد يكون مع الاستعجال الزللُ

(١) الفارة الحاذق والماهر النشط

قلت له ولم لا آخذ بقول الثاني  
 وربما فات قوماً جلُّ امسهم من التأني وكان الحزمُ لو عجلوا  
 قال فاذا عنزمت على الاكل فصغر اللقم وقطعها بالثنايا  
 وكسرها بالانياب واضحنها بالاضراس وقلبها باللسان وابلع  
 سحيقها واعد الى طحن الاضراس جريشها وقدم بقول  
 على الثرايد (١) واذا اكتفيت بالثرايد فلا تعدل الى التوابل (٢)  
 والنشد

فالنفس رغبةٌ اذا رغبنا واذا تردُّ الى قليلٍ تقنع  
 واياك واللحمان فسقراط يقول لا تجملوا بطونكم مقبرة  
 للحيوان وجالينوس يقول اجعل الناس من ملاء بطنه من  
 كلما يجده . واعتمد على مقاومة الصفراء بالاشياء الحامضة  
 والباغم بالطعوم المالحة والسوداء بالثرايد الدسمة . واعلم ان  
 الصفراء كالصبي الصغير ترضيه الثمرة وتسخطه الكلمة

- (١) جمع ثريدة وهي فتات الخبز في المرق  
 (٢) جمع تابل وهي ازار الطعام اي ما يطيب به الغذاء من الاشياء  
 اليابسة كالقلقل والكمون

والسوداء كالثور يسوقه الصبي والمرأة واذا غضب لم يضبط  
والباغم كالسبع ان قُتل والا قُتل فاظهر الباغم قهرك عدوك  
واخضع للصفراء خضوعك لمن فوقك وسالم الدم مسالمتك  
صديقك وجاهد السوداء مجاهدتك عدوك واختصر  
يا سيدي من كثرة الالوان فان الالوان المختلفة الطباع  
تختار المعدة في هضمها وتعجز القوة عن احالتها ولا تأكل  
ما يكدُ اسنانك في مضغه فتعجز معدتك عن هضمه .  
واجمل يا سيدي ما يرد الحشى اثلاثاً ثلاثاً طعاماً وثلاثاً شراباً  
وثلاثاً نفساً واختصر من الغذاء فما يساوي الدنيا التردد  
الى بيت الخلاء وقل من شرب الماء البارد في تضاعيف  
الغذاء وغلب العقل على الهوى فانه 'قل' من غلب هواه على  
عقله فلم يعط وقل من حرص على النساء فلم يفتضح  
وقل من ابتلي بوزراء السوء فلم يهلك وقل من اكثر من  
الطعام والشراب فلم يسقم وجعل الشيخ يمرُّ في ضرب  
من هذا الفن ليشغلي عن الاكل فلما اطال كلامه واتسع

في المذيان ميدانه اضربت عن كلامه صفحاً واقبلت على  
 الاكل فامعنت في الخل والبقل وهو لا يستزيد اداماً ولا  
 يسندعي طعاماً حتى خيل له اني قد شبعت وتصور اني  
 من الخل والبقل قنمت فقال لعلامه ارفع هذا عنا وقرب  
 الشواء منا . فقدم الغلام حملاً مشوياً فمدت يدي الى  
 الاكتاف فقال اياك واياها فانها تقبل من القلب الفضلات  
 فملت نحو الزور فقال لا تعرض له فانه بطيء الهضم فعدت  
 الى الكلى فقال هذه معدن البول ومائة الدم فاومأت الى  
 الانخاذ فقال انها مجاورة للامعي والبراز فاستأذنته في الآلية  
 فقال الله في نفسك فانها وخبثة رديئة تميم الشهوة  
 وتحدث الهیضة فقلت فعلی ماذا اعتمد قال على الاطراف  
 من المضيد فهي الطف ما في الحروف لاسيا من هذا  
 الرضيع المملوف فاومأت الى اخذ طرف كان قريباً مني  
 فقال تاخذ من الاطراف الموءخرة والمقاديم اشرف وتأخذ  
 اليمنى منها والبسرى الطف لتقربها من القلب والحرارة

الغريزية وبعدها من الزبل والفضلات الردية خذ ما  
اعطيك وتجنب ما سواه فإنه يؤذيكَ ، ثم فرك احد  
الاطراف اليابسة وقال هاك هذه النبي فان الاعتماد كان  
عليها في الرعي والسعي فهلم نحوها يا ابن اخي فاخذتها  
ثم قال لفلانة ارفعه نبي عسى ان تكفي غائلته وتأمين  
رودآته وبلية فلبوغ الشهوات قرآن مهلكات وعوارض  
مؤلمت فرباً اكلة قد حرمت اكلاات وهات ما عندك  
فقدم مضيرة (١) بلحم بقر فبدأت آكل فقال اعلم وفقك  
الله ان الآكل يستمرى الاطعمة الموافقة له ولا يستمرى  
الاطعمة المخالفة لطبيعته وهذه مضيرة بلحم بقر والقدماء  
ينهون عنها لمن به ما بك وعن الجمع بين لحم البقر والابن  
كما ينهون عن الجمع بينه وبين السمك وهذه والله ممدن  
المفاصل والنقرس والقوة والقولنج والفالج فالله الله ان  
تحمك الشهوة على الاستمرار بهذه المضيرة . ثم قال

---

(١) قال الفيروزبادي المضيرة مريفة تطبخ باللبن المضراى الحامض

لغلامه ارفعها عنا ففي رفعها الخيرة لنا فاني لا آمن ان  
يثقاد بزمام الهوى الى مناخ الشهوة فيقع من هذه المضيرة  
في امراض صعبة فرفعت ووقدمت ارزة بابن قد عملت  
تحت الجمل فتصورت انه لاشيء يرجى بملها فعدت الضرورة  
الى الشبع منها فحين رأني فيها ممعناً وعلى اكلها مقبلاً تبين  
الغضب في وجهه فاوماً الى الغلام برفع الطبق فظن الغلام  
انه يستدعي منه الخواء فقدم جاماً فيه فالزوج صبغ اللون  
محكم العقد فازداد غضبه وكاد يملأ الجام بتسكاب دموعه  
وقال اعوذ بالله من سوء ما جرت به المقادير اعلم يا سيدي  
انه ليس الآسر بالخير باسعد من المطيع له ولا الناصح اولى  
بالنصيحة من المنصوح له فاسمع نصيحتي واعلم ان الخواء  
مضرة بالاسنان مبثرة للفم والاسنان لاسيا اذا اتبعت بالماء  
البارد فان المأمون شكاً وجع اسنانه الى طبيبه جبريل فقال  
له يا امير المؤمنين امتنع عن الماء البارد بعد الرطب ( ١ )

والسكر فقال ويحك يا جبريل لولاها لما اردتك واي  
لذة تبقى للسان اذا امتنع الانسان من الماء البارد والحلواء  
وخالف جبريل فيما وصف فكان من اسنانه ما قد عرف  
وانا استترلك عن هذا الجمام فان العاقل لا يؤثر اللذة على  
الصحة فمرفني على ما عزمتم قلت على الاكل والاتكال  
على الله فقال كأنك ان تركت الحلواء لا تتكل على الله  
ثم قال اعلم ان الطيب واسطة بين الله والمريض والوسط  
فيه ما في الطرفين ففيه من صفات الله تعالى رحمة ومنحة  
ومن المريض سؤال ورغبة فمرضه العافية ودأبه اهداه  
النصيحة والتوصل الى صلاح كل نسمة وانشد  
لو غضبت روح على جسمها أصلح بين الروح والجسم  
كأنه من لطف افكاره يجول بين اللحم والعظم  
فلا تسيء في الظن وتنسبني في هذا القول والفعل الى  
البخل فانه لا بد من النصيحة لك فلا يتقل ذلك عليك  
قبالله اني اشمي كثيراً اللون اللذيذ واثره ثم اخاف

فأثته فانهي نفسي عنه وربما غلبتني الشهوة فلا ازال اذكر  
 نفسي بالآلام والالوجاع واحضر بين يدي آلات  
 العلاج ثم قال لفلانمه ارفع الحلوآء وهات ما عندك فما  
 شككت الا انه جام آخر ولون قد تأخر واذا طبق فيه  
 كلبتا (١) الاضراس ومكاوي الطحال والراس والنشاب (٢)  
 وصنانير السبل والظفرة وزراقات القوائج وقائطير  
 التبول وملزم البواسير ومخرط المناخير ورصاص التنقيب  
 (٣) ومنجل الثآليل ومخالب التشمير ومحك الجرب ومنشار  
 القطع ومهت (٤) القدح ومجرفة الاذن ومقص السلع وخشبة

(١) الكلبتان بلفظ التثنية الة من حديد يأخذ بها الحداد الحديد المحمي  
 والكلاب حديدة بمطوفة الراس جمعة كلاب

(٢) النشاب من النشوبه وهى ما يعلق به الشىء الواحدة نشابه

(٣) كسر العظام حتى يخرج منها فراشها والفراش جمع فراشة

وهى كل عظيم رقيق

(٤) الة الهت اى الكسر والفت. والقدح عملية فى العين لاستخراج

الماء الازرق

الكتف وجمال الورك ومفتاح الرحم ونوار النساء (١) ومكمد  
الحشا ومقدح الشوصة (٢) ودرج المكاحل ومرهيدان (٣)  
المراهم ودست المباحم فلما نظرت اليها تنفست بالآفة  
وتصورت البلاء والسقم فقال لي يا سيدي يجب  
الانسان الشكر لله تعالى على الصحة وان يسأله دوام العاف  
ليس هذا جيمه لاجل الاكل والمضغ أعد لهذا الجسد وانث  
كم دخلت أكلة حشى شره فانخرجت روحه من الجسد  
لا بارك الله في الطعام اذا كان هلاك المنوس بالمعا  
ثم قال لفلانه اعفنا من الطعام واعدل بنا الى الطش  
والاشنان (٤) فغسلنا ايدينا واخذت مخدة واتكأ وقال ها  
يا سيدي نتحدث فان ابا علي كان يفسدنا دائماً

(١) النساء بالالف المقصورة عصب الورك والنوار التي يعرز

(٢) الشوصة نوع من ذات الجنب

(٣) لعلمها فارسية ويراد بها وعاء توضع فيه آية المراهم

(٤) الاشنان (يوناني) الحرض وهو الذي تغسل به الثياب ريب

بالفاسول قال ابن البيطار عن البكري هو نبات لا ورق له

اغصان دقاق فيها شبيه بالعقد

ولقد سئمتُ آربي فكأنَّ اطيها خيئُ  
الا الحديثُ فانه مثل اسمه ابدأ حديثُ  
وبدأ الشيخ يتمدُّ للحديث ويتشجع ويتكاف للنشاط  
ويتصنع والشد  
وتجلدي للشامتين أريهم اني لريب الدهر لا أتضعضعُ  
فقلت يا سيدي قد تعالقت بذلك الممجون ما دمت على  
الحمية فاسألك ان تعرفني متى آخذهُ وكم مقدار ما اتناول  
منهُ. فقال ما هذا حيجر يحتاج قبل الطحن الى النقر ولانت  
الى ما يقطع بعض شهرتك احوج منك الى ما يقوي  
معدتك فاعرض عن هذا وهات حدثي اي شيء تحفظ  
من النوادر قلت اخبار ابي نواس قال ومن الشعر قلت  
قصيدة في التطفل قال ومن الابيات في الامثال السائرة  
قلت قول الشاعر :

نزوركُم لا نعننكم بزوركم  
ان الكريم اذا لم يستزر زارا  
يقربُ الشوقُ داراً وهي نازحة  
من عاج الشوق لم يستبعد الدارا

قال فاي شيء عانيت من المهن قلت الطبخ قال فما الذي  
 قرأت من الطب قلت تدبير الناقه قال فما العلة التي  
 أدتك الى ضعف المعدة قلت الشهوة الكلبية قال فاي شيء  
 أخرجك من بغداد قلت كان بها غلاة ولحقني بها ضرر  
 فاعتاظ ونهض وكان متكئاً فجلس وانشد

بذا قضت الايام ما بين اهلهما مصائب قوم عند قوم فوائد  
 قلت يا سيدي اذا آيستني من الدواء أفتأذن لي ان اسألك  
 عن شيء مما اجده قال قل وارجوان يكون سؤالا مباركا  
 قلت ما السبب في اني لا اقدر على شرب الشراب ولا  
 يلائم معدتي في حال من الاحوال فاعجبه ما سمع من قولي  
 وقال هذه عادة ظريفة ان تكون المعدة قوية على الاكل  
 وعن الشراب ضعيفة

### ﴿ القسم الثالث ﴾

﴿ في نعمت مجلس الشراب واللذة وذكر ماجرى من المسائل ﴾  
 فلما آنس الى قولي ضحك واعتقد ان باطن هذا القول

كظاهرة فقال لعلامه هات نبيذاً فاحضر طبقاً ونقلاً وخمراً  
 فاخذ القدح وغسله وقال انظر حسن هذا القدح فانه حصل  
 لي من نهب قصر الامارة ايام الفتنة وكان عندي احسن منه  
 ولقلة المعيشة في هذه الشتوة احتجت فبعته وقال  
 وقد تخرج الحاجات يا أم مالك كرايم من رب بهن ضنين  
 ولكن ايام الشمس لا بد ان تأتي وزد عوضه لاسياً  
 وشتاً ونا كان كثير الجنائب (١) والمطر وربيعنا هذا شديد  
 الاختلاف والتغير واظنهما ان شاء الله سنة وبأية ثم ملاً قدحه  
 وقال هذه الخمرة التي كنا زماناً نشهها وبقرط يقول  
 انها تسكن العطش وتشي من الم الجوع وفيها عشر منافع  
 خمس منها تتعلق بالجسد وخمس بالنفس فاما التي تتعلق  
 بالجسم فانها تجيد الهضم وتدر البول وتحسن اللون وتطيب  
 النكهة وتزيد في القوة واما التي تتعلق بالنفس فانها تسر  
 النفس وتقرب الامل وتشجع القلب وتحسن الخلق وتقاوم

(١) جمع جنوب وهي ريح تخالف الشمال

البخل ثم شرب وقال لفلانمه امض الى تلميذي ابي جابر  
الفاصد وادعه ومعه عوده وجز بصديقنا ابي ايوب الكحال  
وابي سالم الجرائحي وقل لابي موسى الصيدلاني بحياتي  
عليك الا جعلتنا في هذا اليوم من احد زبونك فما كانت  
هنيئة حتى حضر القوم فسلموا فرددنا عليهم السلام  
وسألوا عني فاخبرهم بحالي ثم بدأ القوم يشكون ما يقاسونه  
من المعيشة ويتذكرون ما بقي من الصيدلة فرأيت قوماً  
قد لاذوا بالادب الا ان السوقية عليهم اغلب فسكتوا  
ساعة ثم اخذوا في الكلام في مسألة فقال الشيخ اليوم  
خيرٌ وغداً امر ما فينا اليوم قراءة ولا تدريس لان العلم  
الدائم يكذب النفوس وجالينوس يقول ان العلماء محتاجون  
الى ان يتركوا التفكير وقتاً ما لئلا ينهك قواهم واجسامهم  
فان الاجسام آلة القوى والأفعال ثم ملأ القدرح وقال  
لتلميذه اعلم ان القدماء يقولون ان العود مبني على الطبائع  
الاربع وان الضرب من المغني يجري مجرى الموضع من

الفاصد والاورتار كالعروق ووجه العود كالأعصاب فإياك  
ان تضرب ضرباً يقع إيقاعه خارج الأوتار واعتمد ما  
سمعت مني وهات غنني بشهر ابي نوّاس في استاذنا جبريل  
الطيب فضرب الفلام واندفع يعني منشداً

سألت اخي ابا عيسى      وجبريل له الفضل  
فقلت الراح تعجبي      فقال كثيرها قتل  
فقلت له فقدرها      فقال وقوله الفصل  
وجدت طبائع الانسام      ن اربعة هي الاصل  
فاربعة      لاربعة لكل طبيعة رطل

ثم بسطه

اعدلاني عن دراسات الطول      وقفا بي في المربع الجبول  
واسقياني على تصاحب اوتار م      جرى بينهن خفق الطبول  
ثم جس الأوتار وياك باطف      جس بقراطنا بضات الملبل  
فطربوا وشربوا كلهم الا انا فلما آيست من الشراب بدأت  
أعمل في اكل النقل فقلت له ان انفع الانتقال لي ما هو  
يا سيدي فقال ان المتوكل سأل جبريل عن انفع الانتقال

فقال له نقل ابي نواس يا امير المؤمنين فقال وما هو قال  
مالي في الناس - كلهم مثل ما بي خرم ونقلي القبل  
هذا قاله جبريل للمتوكل وهو صحيح ما به ما بك قلت  
صدقت الا ان هذا يصفه جبريل للمتوكل وفي مقاصيره  
اثنا عشرة الف جارية فانا يا سيدي على ما اعتمد في هذا  
النقل ا على الشيخ ابي ايوب الكحال ام على ابي سالم الجرائمي  
فما ظه هذا القول مني وقال ا ليس ذكرت انك طبيب  
قلت بلى ثم قال اي شيء تعاني من اجزاء الطب قلت  
الطبائع

### القسـم الرابع

في اعتبار الطبائعي بمسائل توضح فضله وتظهر جهله  
قال أسألك عن مسألة قلت افعل فبدأ والنشد :  
أعدني رب من حصص وعي ومن نفس اعالجها علاجا  
ومن زلات نفسي فاعفها فاني لا اطيق لها لجا  
ثم عاد وقال اسألك عن مسألة قلت افعل فقال الشيخ لا

تظن اني اسألك لم صار الحبشة والصقالبة وبلادهم مختلفة  
وطبائعهم متضادة يقتدي كل منهم بالاغذية الحارة اليابسة  
ويشربون الخمر ويتغافون بالمسك والعنبر ووجب ان  
يجرى الامر فيهم على خلاف ذلك التدبير فهذا مما لا  
اسألك عنه لانه مقول بالجواب ان الحبشة  
يستعملونه غذاءً والصقالبة يأخذونه دواءً لئلا يلزم ان  
تستعمل انت مثل ذلك في الصيف والشتاء ولا اسألك ايضاً  
عن الخنزير وهو من اعدل الحيوان وغذاؤه يجب ان يكون  
اعدل النبات ونراه يقتدي باخبث فضلات الانسان لان  
هذا من المسطور المذكور ولا اسألك ايضاً عن القدماء لم  
قسموا البلغم من طعمه ولم جعلوا الزجاجي والمسيخ احد  
اقسامه وايس له طعم كاحد اصنافه ولم قالوا ايضاً انه بارد  
وهو أحر من الدم في الهضم الثالث ولا اسألك عن الولادة  
هل هي طبيعية وقد جمعت اجناس الامراض الثلاثة ام  
هي ليست بطبيعية وهي اصل الافعال الطبيعية والانسانية

لكنني اسألك واقول لك ربما نام الإنسان وهو حاقن فرأى  
 كأنه يبول فلا يبول فانتبه وقد حمزه البول للخروج  
 ففهم وبال قلت نعم قال فما الذي منع البول من الخروج  
 مع حذته وامهله الى الانتباه على كثرة قلت لا اعلم قال  
 فين لا يتأني له الكلام في بوله يهجم على انقال الناس ويأكلها  
 ثم اتيت الى الحاضرين وقال صدق انه لا يعلم لان البطنة  
 تذهب النطنة. والله لو اكل ما اكله بقراط لاضحى يمتقد  
 ان القوة العقلية في المعدة. ثم قال لي يا مبارك الناصية اذا  
 لم يتشاغل الطبيب بمسائل الاطباء وتواريخ القدماء والبحث  
 عن غوامض الكتب البقراتية وتفسير الست عشرية  
 وعلل البحارين الشمسية والقمرية وعن النماء وهل هو من  
 خواص الاعضاء المتشابهة الاجزاء ام الآلية وعن النبض  
 غير المتظم في نبضة واحدة وفي نبضات كثيرة والا  
 فهاذا يشغل نفسه أباخبار المختنين والمقنين وطيب لحن ابن  
 شرح وترنم معبد ونوادير بدعة الكبيرة واهزاج سريرة

الراقصة وإيقاع مزاجهم الرقاق ؛ وإذا لم يرُضْ نفسه في  
كتب النسخ والدمساتير وتحريم الأدوية على موجب القوانين  
والإفبائي شيء يمّتي ؛ أ بكتابة رقعة تتعلق بالماشق والمشوق  
ووصف القمود ؛ والحدود ؛ والعيون ؛ وكسر الجفون ؛ والجبين  
والانين ؛ وفرقة القرين ؛ ولوعة الحزين ؛ وطيب التلاق وشكوى  
الفراق ؛ وحلاوة الوصل ومرارة البين وما لحق قيساً مع  
لبنى والمجنون بليلي وجميل بيثينة قلت يا سيدي لست  
طبائماً قال فانت ماذا قلت انا كحل فقال هذا شيء يتعلق  
بشيخنا ابي ايوب

### القسم الخامس

﴿ في سؤال الكحال عما لا يسعه جهلة ﴾

فقال لابي ايوب اشرب هذا القدح واسأله ثم  
اخذ القدح وتأمله ورفمه وقال هذه والله كما قال الشاعر  
وكان الزجاج قطرة ماء جمدت والعقار شملة نار  
هات بالله يا سيدي عن صوت استاذنا ابي اسرايل الكحال

فاندفع وغنى

قالوا اشتكت عينه فقلت لهم من شدة القتل مسها الوصب  
حمرتها من دماء من قلت والدم في النصل شاهد عجيب  
ثم هزجه

مريض الجفون بلا علة      وكتحل الطرف لم يكتحل  
شكا حسنه قبح افعاله      فآثر في وجنتيه الخجل

فشربت الجماعة كلهم دوني ثم قال لي ابو ايوب لو ان رجلاً  
برخشياً «١» كل عين حمارك على غير ظم منك فاعماها  
وادعى ان بها سذنة ثم شارطك على برءها فكحلها بدواء  
عاد بصرها به اُتُعرف الدواء الذي يبقى طبقات العين  
ورطوباتها ويمنع النظر بها والدواء الذي يزيل ذلك الداء  
في الحال عنها فقلت لا فقال صاحب الدار يا ارمم البصيرة  
اعتقدت انه يسألك عن الظفرة متى تكون مرضاً ومتى  
تكون سبباً او عن جالينوس لم ذم العين الصغيرة ومدح

(١) اي من الغوفاء وهم اخلاط الناس

الحدقة الضيقة اللهم غفراً يا سيدي في اي شيء افنيت  
ايام الحدأة اظنك قضيت الزمان في محبة الصبوح والقبوق  
ومعاشرة الاخوان وتحديد القيان ومعرفة اسماء الخمر  
وتعديل نايات الطبل وتمبئة المجالس واصلاح المنام  
وتفريع الأرنج وحشو التفاح وترتيب الاوتار وشد  
ازيرة « ١ » الميدان على مقادير الاخان واصلاح الطبقات  
في ثقل الاول وخفيفه والرمل وخفيفه والهزج بالوسطى  
والسبابة والبصر . يا سيدي ما هذا والله مما ينفع الطبيب  
في طبه ولا المريض المسكين في ازالة مرضه قلت ما انا  
كحال قال اراك تدعي صناعة وتجدد اخرى كأنك تقدم  
غضارة « ٢ » وتبعد اخرى هات عرفني اي شيء انت قلت  
انا جرائمي قال هذا شيء يتعلق بالشيخ ابي سالم

(١) جمع زير وهو الدقيق من الاوتار

« ٢ » الغضارة القصعة انكيرة

القسم السادس

﴿ في اعتبار الجرائمي بمعرفة التشريح والمنافع ﴾  
 ثم قال لابي سالم اشرب هذا الدور واسأله ثم التفت  
 الى الساقى وقال له ناوله فاعطى لابي سالم فشربوا

جد بناء المزن والغيب كاشفات المم والكرب

قهوة لو انها انتسبت ساجت قحطان في النسب

فهي تكسوكف شاربها دستانات من الذهب

فألاً الساقى القدح واعطاه فقال لابي جابر فن لي صوت

استاذنا ابي الحسين بن تفاع فاندفع يعني :

كل جريح ترجى سلامته الافواداً دهنه عيناها

تبلى خدي كبا ابتسمت من مطر برقة ثباياها

فشربوا ثم ملأوا الاقداح فمزجه

تأوهي من حر نار الهوى قنات حتى لم يجد متلا

تأوهي من جسدي كله فصل هي منصلاً منصلاً

ارى الملقى يعزل المتلى يا رب هذا العازل ما يتلى

فشربت الجماعة ثم اوماً اليّ وقال يحتاج الجرائحي ان يكون  
عالمًا بالتشريح ومنافع الاعضاء ومواضعها ليجتنب في فتح  
المواد قطع الاصاب واطراف المضل والوتار والالياف  
ثم قال كيف معرفتك بالتشريح قلت على غاية الكمال قال  
كم هي الياف الممددة قلت ثلثة قال وما هي قلت واحد  
موضوع طولاً به تجذب الغذاء وآخر يمضي عرضاً به  
تمسك الغذاء وآخر وراباً به تدفع الغذاء. قال فان قال  
قائل لا بل الدفع بالموضوع عرضاً والمسك بالموضوع طولاً  
والجذب بالماضي وراباً بماذا تجيبه أترى هذا مما يقوم  
لك عليه برهان او تظهر لك صحته من العقل والتأثير قلت  
لا فقال صاحب الدار انا والله نظلمه. من أكل ذلك الاكل  
لا يجب عن هذه المسائل. ثم قال ابو سالم أحسبك انك  
اعتقدت اني اسألك عن الجراحات المدورة في المفاصل  
المتحركة لم لا تلتهم بسرعة وعن علة الضرس النابت في  
سمن الشيخوخة وعن الفرق في البنية بين الاناث والذكور ما هذه

مسائل تضييق افاضل العلماء عن جوابها ثم التفت الى  
الحاضرين وقال قد حصلنا من هذه الصناعة على تدوير  
المامة وتحرير الشابورة «١» وسعة الدراية وعظم الخاتم  
والنشر عند المامة اذا غاب الفضلاء وقول السوقة يا فلان  
أما ترى ذا؟ من اين مثل هذا؟ ومن يسمع من غيره هكذا؟  
لا سيما اذا اخذ الكتاب بيده وفتل شاربته وامال رأسه  
واوماً بيده عند قرآته فمن الحواريون في اقامة الموتى وبراء  
الزمى؟ ومن بقراط في طبيه؟ وارثيميدس في  
حيله؟ واقليدس في هندسته؟ واذا فاتحته بالعلم وجدته  
عارياً مما اتحله عاطلاً مما تحلى به وانتمى اليه  
وتول في الميمنة عليه: فهو كما قال الشاعر

فاذا ساجته في علمه      قال عامي يا خليلي في سفظ  
في كرايس جياراً حكمت      وبخط اي خط اي خط

«١» لعلمها الشابورة بالسین من شابور وهي كورة في بلاد فارس  
ينسب اليها السابري وهو نوب رقيق جداً. وتحرير بمعنى ضبط

فإذا قلت له هات إذاً حِكَّ الحَبِيبِ جميعاً وانخط  
وإذا أخبر عن شيء ترى فاتحاً فكاً ومنه قد خلط

لأسماء الواحد منهم إذا شدد العضد وفسد ومسح الميل وكل  
ونظر إلى القارورة وحرك رأسه فقد وفي الصناعة حتمها  
وعرف علمها وعمها وقال لقد أحكمتها والصواب التشاغل  
بعلم غيرها وينسى «قول بقراط العسر قصير والصناعة طويلة»  
هذا والساعات طائرة والحركات دائرة والفرص بروق  
تأتلق والأوطار في الأيام تجتمع وتفترق والنموس على قرانينها  
تذوب وتحترق فان اتفق لهذا الجاهل ان يحضر مع  
طبيب قد اسهر ليلة وكد نفسه فيما يحتاج إليه في  
مناظرته لم يحصل منه على أكثر من المهارة  
والماكبرة والاعتضاد (١) عليه بالنساء والعامه والشناعة  
الى المريض برقع الاصدقاء الى ان يصرف ذلك الطبيب

(١) الاستعانة ما ابدع ما وصف به الممخرقين بصناعة الخاب

المسرفين عندنا بالدجالين وسياتي الكلام عليهم في التكملة

ثم لا يزال مهمه في طبه ما ضيأ على سنته الى ان يذبت المرعى  
على تربته فاذا سئل عنه بعد موته قال ما كان يمكن ان  
يميش لان المرض كان مهلكاً والقوة ساقطة وما على  
الطبيب الا الاجتهاد وليس في قوة الصناعة شفاء كل مريض  
ولو كان كل مريض اذا استطب برأ لما مات احد ولكن  
الآجال مقسومة فما الحيلة ولا حيلة في الموت ولا قدرة  
لنا ان نزيد في الاجل ولمعري انه كان حراً ويمز عليّ والله  
فقده ولكن الانبياء ماتوا وما يبقى احد ويخرج لهم في  
فتاوي احمد بن حنبل ويستطرد بمخالفة المريض وفاظ  
الطبيب الاول فان سئل عما تجدد له تهد وانشد

أخني عليه الذي أخني على آبد ( ١ )

وان قدر ان يتأني له برو قال لقد خالصته من فك  
الأسد وردته من شفير القبر ويرى انه حل المصابة

( ١ ) ليد آخر نور لقمان والشعر للنايفة وسدر البيت

أبحت خلاه وأضحى أهلها احتملوا

من لحيته ونزع يد الغاسل من يده وجذب ناصيته من  
منكر ونكير وقد بدأ بمسائلته ثم قال مالي اراك مطرقاً  
مالياً قلت لاني است جرائحياً فاغتاظ من تنقلي في  
الصنائع وقال .

اظنك من بقية قوم موسى فهم لا يصبرون على طعام  
قلت ياسيدي عادتني اغتذي ثلث دفعات في اليوم  
قال دع هذا عنك فما هذا اردت هات عرفني اي شيء  
انت قلت فاصد

### ❦ القسم السابع ❦

﴿ في امتحان الفاصد في ما يحتاج الى معرفته من المنافع ﴾  
قال هذا شيء يتعلق بفتانا ابي جابر فالنوبة معه فقال  
ابو جابر لصاحب الدار يا أستاذ اسألك ان تنوب عني  
في مسائلته وانا اعرضك عن ذلك بان اغني لك شهر  
شاجي لما اهدت جاريتها للمتوكل يوم فصاده قال افسل  
فاندفع الغلام وغني .

فصدت عرقاً تبغي صحةً اليك الله به العافية  
فاشرب بهذا الكأس ياسيدي مستمناً من هذه الجارية  
واجعل لمن اهداكها زورةً تحظى بها في الليلة التالية  
فصاح وطرب وشرب ثم ملاًوا الاقداح فهزجه  
ويح الطيب الذي جئت يداه يدك ما كان اخبره فيما به اعتمدك  
لوأن الحافظة كانت مباحة وقد نحاك بهامن رقعة فصدك  
فصاح وطرب وشرب وملاًوا الاقداح فلما شربوا  
سكنت الجماعة فقال الشيخ كان ملوك اليونان عادة وذلك  
انهم لا يعلمون صناعة لانسان الا بعد تأمل مولده لان  
المطبوع في كل امرء هو الذي يكون دليل ذلك الشيء  
قريباً في مولده والذين لا مولد لهم يدخلونهم الى بيت  
فيه صور الصنائع فما تحركت اليه طباعهم ومالت نحوه  
نفوسهم واشترأت اليه قلوبهم اخذوهم بتعلمه لقوله  
« وكل امرء يصبو الى ما يجانس » وجالينوس يستدل على  
همة الصبي من لعبه مع اقرانه في اللعب وهل يؤثر ان

يكون ملكاً عليهم او خادماً لهم فان الشخص تسمو نفسه في ذلك الوقت بحسب الغالب عليه في طباعه اذا كانت الروية (١) منمورة بالطباع الحيواني ولما فسد هذا النظام صار كل عطار يتصدى لنظر القوارير (٢) والكلام على الطباع وتنفيق ما كسد عنده من الحوائج ولا سيما اذا اضاف الى طبعه قرطاساً فيه نشادر وخصاب وغسول وكليكان (٣) وحب المروس (٤) وان شئتاه تحلف لسكينة بالمصحف ان ليس في العالم احسن من طبعه وهو مع هذا ربما طبخ ماء الشعير وانكب على نفخ الدخان ولا يعلم المسكين ان الفاسد يحتاج ان يهني بهينه ب مداومة الاكل الجالية وشرب الجيوب المنقية .

- (١) الروية النظر في الامور بعد الرؤية وقبل المزيمه  
(٢) جمع قارورة ويراد بها الوعاء المستعمل لفحص البول قال بعضهم يمدح ابن قرة الطيب مثلت له قارورتي فراى بها ما اكن بين جوائحي وشغافى  
(٣) من انواع الكراث  
(٤) هو الكبابه نبات عطري

تالله اني ما اعلم من المرحوم الفاضل المدفوع الى ما  
ليس من عمله ام المنصود المغرور الذي يوقع يده بيده  
فيحكمكم في عرقه وعضده ، ثم قال لي اسألك قلت  
سل عما بدالك قال لا تظن اني اسألك عن الملة التي من  
اجها صار بعض العروق يفصد طولاً وبعضها عرضاً  
وبعضها ورماً فذلك معروف ولا اسألك ايضاً ليم صار  
منفعة فصد الأشيلم (١) في بعض الاغراض اكثر من  
الباسيق (٢) وهو طرفه وشعبته منه ولا عن الشروط  
التي تلزم الفاضل وقت فصاده وقبله وبعده ولا عن  
العروق التي حصلت معرفتها بالقياس والعروق التي  
عرفت بالتجربة والتي أدركت على جهة الوحي في  
المنام فذلك مما يعرفه فأر البهارستان ولا اسألك عن  
عرق الجهة اين يطلب في الصبيان وعرق اليافوخ اين

(١) وريد بين الخنصر والخنصر

(٢) وريد في ثنية المرفق يستعمل الفصد فيه عادة

يوجد في الرجال ولا أسألك عن الدم الأحمر الذي  
إذا طرح عليه الماء أسود والأسود أحمر بل أسألك  
عن العلة التي من أجلها يكره الاستفراغ بالفصد في  
امتلاء القمر والدم من استهلاله إلى إبداره في  
إبدان الحيوان اغزر منه في زمان محاقه أتعلم ذلك قلت  
لا . قال أفتعرف الفوائد الثالث في شدّ المضد قبل  
الفصاد قلت لا قال . ألا تعرف أول من نبه على الفصاد  
واختياره لمداواة الأمراض قلت لا . قال فانت من عمرك  
تتهك أعراض الموائد وتجب الناس بالاكل وتأكل وتنام  
وتتأوى في المسائل كأنك عرق زوال ( ١ ) تحت مبضع  
مصدّ وقد حصلنا من هذا الفصد معكم على شق  
العروق واخذ الفضة وشهادة العامة ان فلاناً يفصد  
جيداً ويده خفيفة والواحد منكم لا يعلم انه إن ضرب  
شرياناً نزع الدم الذي يتبعه الموت وان ضرب عصباً

ابطال الحركة والحس وشنج اليد وان ضرب عضلة  
جذب المواد الخبيثة الى العضو \* بطلت والله هذه الصناعة  
وصار الخدق في الفصد مسك المضد وغوص الشدوعصر  
المروق حتى يهراق الدم وعص ( ١ ) العصابة وتربيع  
الرفادة وترك الموضع تحت العمامة فما يرفون غير اهراق  
الدماء واخذ الكراء فلو ان انساناً ضاعت جمارته او وقعت  
دراغته ( ٢ ) لما اشترتم عليه الا بفصده واهراق دمه  
ثم قال لي ارني مياضك فاخرجت اليه دست المياض  
فتأمله وقال اين المدورات والشفرات والمزويات ( ٣ )  
والحربات واين فأس الجبهة وصنارة الصدغ والدواء  
المقاطع للدم قلت ما ممي من هذا كله شي قال فأرني  
لطف اناملك فلما اخرجت يدي قال ما هذه انامل تصلح

( ١ ) اي شدها

( ٢ ) الدراعة جبه من صوف

( ٣ ) المزويات اي ذوات الزاويه

جلس المروق ولا هذا زندق يقدح جواب هذه  
المسائل قلت لست فاصداً قال فانت ماذا قلت صيدلاني

القسم الثامن

في اعتبار الصيادلة بمعرفة العقاقير والادوية

قال هذا يلزم شيخنا ابا موسى فقال لابي موسى  
اشرب هذا القدح واسأله فلاًوا الاقداح ورفع ابو موسى  
قدحه وقال ما احسن ما قال فيها ابن المعتز

وراح من الشمس مخلوقة بدت لك في قدح من نهار  
هواء ولكنه راكد وءآء ولكنه غير جار  
ثم التفت الى الغلام وقال بالله عن صوت استاذنا

احمد بن قرابة فاندفع يعني

اللمت باصحابي وقد هجموا حسبت حتى رجال القوم عطارا  
فقتت من ذا الحيا واتبيت له قالوا الحبيب الذي تهواه قدزارا  
قلت اهزلوا نعمت دار بقربكم اهلاً وسهلاً بكم من زائر زارا  
فلما شربوا قال ابو موسى لست اسالك عن

الأدوية التي تستعمل لوقتها والتي تستعمل لشهرها والتي  
يوثمن استبقاؤها وان تقادم عهدها لأن هذا معروف  
ولا أسألك عن الدواء التفتة الذي اذا طرح على الخال  
حلا . ولا عن الدواء الذي اذا طرح على الخلو حمض  
ولا عن الشيء اليابس الذي اذا بقي عليه الربوب امانها  
ولا عن المائع الذي اذا طرح عليه الماء جمد فذاك  
معروف بل أسألك عن الحجر الذي اذا أدني الى  
ضوء السراج يضمحل . وعن البدور القمرية . وعن  
السنباذج ( ١ ) الصيني . والساذج ( ٢ ) الهندي والتوتيا  
الحشري ( ٣ ) وعن منابت المقار بحسب فصول الزمان  
أفتعرف ذلك قلت لا قال أفتعرف الخنظل قلت نعم قال

(١) حجر كانه مجتمع من رمل خشن معدنه في جزائر بحر الصين

(٢) نبات شبيه بالناردين

(٣) «٣» لعله بالنسبة الى الحشر وهو النخالة او تحريف الحجرى

أفتعرف الانثى من الذكر قلت لا . قال أفتعرف ما منه  
دواء نافع فتأخذه وما منه سم قاتل فتطرحه . قلت لا قال  
أفتعرف الاسفنج ليس البحري ولكن النبائي قلت لا قال  
أفتعلم متى يؤخذ زبل الذئب وبهر الضب قلت لا . قال  
أفتعرف الشيء الذي تغير الطيبة طعمه وتبقى عليه  
لونه والشيء الذي تغير لونه وتبقى طعمه والشيء الذي  
تغير طعمه ولونه وبالضد . قلت لا قال أفتعرف الحجر  
الذي يراه الناظر ابيض فاذا ادم النظر رآه احمر فاذا  
ادامه جداً رآه بنفسجياً فان زاد النظر رآه اسود مظلماً  
قلت لا قال أفتعرف الدواء البسيط الذي يجد اللسان منه  
حلاوة وصرارة وحموضة وملوحة معاً قلت لا . قال الشيخ  
ياايروح صنمي ( ١ ) ما هذه من مقاماتك هذه من مقامات  
ديسقوريدس الذي قد بدانا منه بقطاعي الشوك وباعة

---

« ١ » اليروح اصل اللفاح البري ويعرف عندهم باليروح الصنمي

لانه يشبه صورة الانسان

الفودنج (١) ها انتم تلمبون بمهيج الناس . تهنُّ علي هذه  
الصناعة قلَّ الواصف لها وعدم العارف بها فتحامى  
التجار جاب العقار وبقينا من صناعة الصيدلة على البراني  
المصنفة والصواني المزوقة والدكاكين المزخرقة والالواح  
المرندجة (٢) والموازين والمكايل والمصافي والطباشير  
وصارت العناية كلها بالحناء الجيد وماء الورد الطيب  
والخضاب الحلك والنسول الاحمر والقلبي والنوشادر  
والحارود (٣) ودخنة صريم وان تقول شعثاء العاتكة ما في  
الدنيا مثل دخنة ابي الحسين العطار وتقول علي القابلة  
ومن اين مثل قشوته (٤) وتقول سكينه الماشطة ان

- «١» نبات هو اللبابة بعجميه الاندلس وعامه مصر تسميه فليه  
واهل الشام يسمونه الصقر . عن ابن البيطار  
«٢» المدهونه بالاسود من اليرندج والارندج وهو السوادا والزاج  
«٣» هو اسم الحيوان الذي خصاه الجندبادستر  
«٤» قفه خوص لعطر المرأة

عندهُ دهن العافية شيءٌ ما في الدنيا مثلهُ وتحاف ان ما في  
العالم مثل حوائجه لا سيما اذا قالت له كم ثمن خمس دراهم  
فشار فيعطيا ويزيدها ويحلف انه لا يأخذ ثمنه منها  
ويرساها وقد جعلها شبكةً من شباك المعيشة فلا يبقى  
حمام ولا مجلس قاض ولا سوق غزل ولا دكان قطان  
الا والحديث كلهُ صفةُ ابي الحسين المطار . فلما استوفى  
كلامه عجزت عن الجواب ورأيت ان مسألتهم من الصواب  
فقلت ياسيدي الحكماء يقولون ان لكل فضل زكاةً فزكاة  
المال الصدقة على الفقير المحتاج وزكاة القوة المدافعة عن  
الضعيف المظالم وزكاة البلاغة القيام بحجة من عجز عن  
حجته وزكاة الجاه ان يعين به من لا جاه له وزكاة العلم  
التعليم لمن قصر علمه واذا وجب على المال زكاة وهو  
ينقصه الانفاق فهي اوجب على العلم الذي يزيد الانفاق  
وقد قيل العلم كالشعر كلما حلقته كان اقوى لنمائه  
فان لم تحلقه فان له مقداراً محدوداً ان قص عاداً اليه

وان ترك لم يزد عليه فهل لك ان تعرفني جواب هذه  
المسائل قال الشيخ من يتبع الحكمة طلابها كالذي يمنع  
الظمان الماء البارد المذب وهن يعرض الحكمة على غير  
طلابها كالذي يعرض على الريان الماء الحار المالح وانا  
اعرفك جواب هذه المسائل بعد ان تعرفني اي شيء  
تتجمل من الصنائع فبالله اني اورد عليك كلاماً كالوشي  
المحبوك والذهب المسبوك قلت انا رجل جئت بكتب  
الى اهل هذه البلدة قال انت من طب الرقاع والرسائل  
والنفت الى القوم وقال هذا مثل فتانا قلت ومن هو

### القسم التاسع

﴿ في غيرة الاطباء وتغايرهم على المرضى ﴾  
قال فتى حدث نشأ عندنا يعرف بخاروف ابي الوفا امسى  
في بعض الليالي معافى واصبح يدعى انه حكيم ،  
قالت له النفس كن طبيباً تقضي على الناس بالذهاب

تأخذُ مالَ الليلِ قهراً ثم توثّاهِ (١) الى الترابِ  
 اعاذنا الله واياكم من سوء ما تجري به المقادير على  
 يديه فهو الآن يلبس الديبقي (٢) الملقم والمقصب المذهب  
 والحواتيم اليشب والفيروزج ومع هذا فوالله اني ارحمه  
 وحسبك من حادثٍ بامرٍ ترى حاسديه له راحمينا  
 لان هذا الالباس يبعثه الى الناس ويحملهم على  
 غيبته حتى يتكلموا فيه بما انا احلف انه لا يتجاسر عليه  
 ولا يمد يده اليه ولكنه لا يرضى لنفسه ان يكون مثلاً نحن  
 الاطباء الذين رضينا من الثياب ما ناب مناب الريش  
 للطائر ومن الشمشك (٣) ما ناب للحيوان مناب الحافر  
 هذا انفع وذلك اطيب ولكن الالب الى آخره ياسيدي  
 هذه عادة القدماء وزهاد الاطباء وكل ما لا يشبه اربابه

١ تسوقه

٢ بالنسبة الى دبيق بلد بمصر

٣ جمع شمشك وهو من ملابس الرعاة

مسروق ونحن اعزك الله اصحاب ثروة وعافية ما علينا  
 من غيرنا ولكن اذا رأى البائس الفقير طيباً كأنه وزير  
 فكيف يتجاسر عليه او يمد يده اليه او يجسر يريه نفسه  
 وبوله وبرازه ولكن هو بعد حدث ما يحسن يداري  
 عيشة ومن المعلوم ان ذا العقل لا تبطره منزلة اصحابها  
 وان عظم امره كالجبل الذي لا يتزلزل وان اشتدت به  
 الريح والسخيف تبطره ادنى منزلة كالخيش الذي يحركه  
 ادنى ريح فان الادب يذهب عن العاقل السكر ويزيد  
 الاحق سكرًا كالنهار يزيد كل ذي بصر بصراً ويزيد  
 الخفاش عماء . بالله اني اعجب اذا قالوا ان فلاناً قد صار  
 طيبياً وكنت اعهد يتيماً فلما ترعرع ماشى كسير وعود ( ١ )  
 فشهدا له بالجندي والركوب والفروسية الى ان مضى على  
 ذلك برهة فما احسست بشيء حتى تصدر بهامة وصقل

« ١ » بصيغة التصغير كناية عن قرين السوء يقال له كسير وعود  
 وكل غير خير

اطرافه وقص اظفاره ووسع اردانه والتحق بالروساء  
وانتمى الى خدمة الاولياء وبدأ يتعلم يكتب ويقرأ ويتسور  
باخبار الاطباء ولمهدي به يوماً وقد حكى لبعض الرؤساء  
حكاية اساءة فيها الرواية فقال ان بعض سراري الملوك  
شكت الى جبريل بخراً كان بمولاهها وان جبريل اشار  
عليها ان تأمر الخياطين ان يفتقوا دروزها ويمكروها مسكاً  
حتى اذا قرب مولاهما منها تمتد ان تشم الدرود  
واذا قويت عليها الرائحة تواصل شم الدرود فكانت تجمع  
الدرز والدرزين وتشمهما فاندفع الناس يضحكون من  
مخاطبته لصاحب المجلس بهذا ومن انه المسكين لا يعلم ان  
النآء في الفعل المضارع تصلح للمؤنثة الغائبة والمذكر  
الحاضر وشتان بين هذه الحكاية وبين ما جرى بين اسحق  
بن حنين وبين القاسم بن سلام وزير المعتضد وذلك ان  
القاسم بلغه ان ابا يعقوب اسحق شرب دواءً مسهلاً  
فاحب مداعبته وكان صديقاً له فكتب اليه

أبن لي كيف امسيت وكم كان من الحال  
وكم سارت بك الناقة من نحو المنزل الخالي  
فكتب اليه اسحق

بخير كنت مسروراً رخيلاً ناعم البال  
واما السير والناقة من ثم المربع الخالي  
فاجلالك اتسانبه من ياغاية آمالي  
وما ابعد شبه المسكين ايضاً ببعض ظراف الاطباء  
وقد انقذه صاحبة في جيش فلما عاد سأله عن الوقعة على  
جهة المداعبة فقال التقت الفتتان في موضع كرجة البيارستان  
فلو انني مبضع لما وقع الا على قيفال فا كانت الا هنيهة  
بمقياس عشر نبضات حتى بخرنا اعداءنا بخراناً مهلكاً  
وعدنا في صحة مطلقة يا قبالك يامعتدل المزاج . ثم قال  
الشيخ يزن علي والله بهؤلاء الاطباء مات الناس وباد  
جهاينة الصنائع ونقاد المعلوم فاقلمت عين الفضل ووهي  
عمودها وانكسر فقارها فلا حريم للحكمة الا مستباح

ولا جانب للفضل الا وهو منثلم فالمصيبة عامة والمزاء خاص  
لان المريض مستغيث والطبيب عاجز وبينه وبين مداواته  
سجافٌ قاطع مانع وهذا عيان يغني عن البرهان. ثم ملاءوا  
الاقداح واستدعى ابو سالم كاساً كبيرةً فلما ملاءها رفعها  
بيده وقال ما احسن ما قال فيها ابو نواس

في كؤوسِ كانهنَّ نجومٌ بادياتٌ بروجها أيدينا  
طالعاتٌ مع السقاةِ علينا فاذا ما غربنَ يغربنَ فينا  
ثم قال لابي جابر يا ولدي عن احد اصواتي فاندفع

وغنى

عينُ الزمانِ اصابتنا فلا نظرتُ وعذبتُ بمذابِ الحجرِ ألوا  
قد كنتُ اشفقُ من دمعي على بصري فاليومَ كلُّ عزيزٍ بعدكم هانا  
فطربوا وصاحوا وشربوا وملاؤا الاقداح واقترح

صاحب الدار على الصبي فغناه .

مرضتُ فجئتُ اعودها فتوتُ فهي الصبيحةُ والمريضُ العائدُ  
والله لو قستِ القلوبُ كقلبها ما رقتُ للولدِ الضعيفِ الولدُ

فشربوا وحييَّ بعضهم بعضاً وأكثروا من الثناء على صاحب  
الدعوة فلما سكتوا قلت ياسيدي من هذا الطبيب الذي  
هذه صفاته فضحك وقال صبيُّ كنت اعرفه ببغداد  
وهو اذا مصَّ الثماد (١) ناب عنده مناب الماء الغزير  
اليوم قد تعلم يأكل الباقي المقشر والباذنجان المقمع فهو  
كما قال الاول

كانَّ الفتى لم يعرَ يوماً اذا اكنسى ولم يكُ صعلوكاً اذا ما تتولا  
ولم يكُ في بوسٍ اذا باتَ ليلهُ يناجي غزالاً ساجي الطرف الكلا  
غير انه قد دخل فيما ليس من عمله وتصدى لمقعد  
ليس من اهله فالنمة نافرة عنه والرئاسة غريبة منه والنشد  
نعمة الله لا تعاب ولكن ربما استعجت على اقوام

فواصلته ظناً بان الزمان يصاحبه فوجدته يتوصل الى  
الكسب بكل وجه ويتجمل في جذب الدرهم بكل ضرب  
فهو مع الجند في فن ومع التجار في فن يصف للشباب

سنوناً للفم وللنساء دواءً للسمن والمشائخ جلاءً للمين  
وللمجانز خضاباً للشعر وهو تارة يتطبب وتارة يتنجم  
وتارة يدال ويسمر واذا دخل في شيء يحل ويربط  
ويحسن البحث ادعى انه عبدالله بن هلال ومع هذا يتجر  
في الاكفان ويستعمل التوابيت ويكري ثياب الجنائز  
ويرابي النوايح ويعز الى اصحاب المورايت واذا دخل لقوم  
داراً فارقتها بنحزي وابقى بعدها عاراً سادته بمناحس  
المرضى ومناحسه بسلامتهم من يده الشلاء واعدآؤه  
جميع الامم واصدقآؤه الحفارون والرخم .

قد عود الطير عادات وثقن بها فهن تبعته في كل مرتحل  
واذا حضر ايام الربيع اجتمع مع عطار له وشارطه على  
نصف اثمان الادوية ويمضي هو فيقصد الرؤساء في دورهم  
ويلقى التجار في دكاكينهم ويهدد الناس في الربيع بهجوم  
الحروف في الحريف بورود الشتاء ويلقى هنداً فيقول لها ياستي  
اراك قد تغيرت والله ان عينا اصابتك ثم يقول لها ياستي

لعمرك الله الدنيا ما تساوي العين لحظة عين وينشد  
انما دنيائي نفسي فاذا ذهبت نفسي فلاعاش احد  
لبت ان الشمس بعدي غربت ثم لم تطلع على اهل بلد  
ياستي تقباين مني فتقول له نعم يا بني ولا اخالفك  
فيقول الصواب ان تشربي ماء الجبن فانه يخلص الجسم  
ويسمن الهزال ويبيض اللون ويحمر الوجه ويرق البشرة  
ويشهي الاكل ويجيد الاستمراء ويطيب الهكة ويزيل  
الكلف ولا يبرح حتى يكتب لها ادوية غريبة . ويقول  
امضوا الى فلان المطار وهو والله غثٌ صعب السكة  
ولكن حوائجه جيدة فلا تفكري في الثمن . ويقول للقلام  
سيستأمر عليك عشرين درهماً وينقصك خمسة اجتهد في  
عشرة ان باءك وما اظن فليست بغالية والا فاعمل  
برأيك ولا ترجع الا بقضاء حاجة لان القمر غداً في  
المقرب . وصبحه عني وقل انا اعوضك في شربة اخرى  
ويجوز ان لا تريح علينا في هذه فانها لصديق . فان مضى

الغلام واخذها من غيره فانك تراه كالاسد الذي قد  
فاته الفريسة وهو جائع لانه يتأملها ويقول اين الاهليلج  
الاسود والترنجبين الابيض والامير باريس (١) الحديث  
الاحمر. ملتم والله الى الرخص اما تعلمون ان الحكماء يقولون  
اذا كان الطبيب حاذقاً والمريض موافقاً والصيدلاني  
صادقاً فما اقل لبث العلة . لا والله لا غطيت الحق  
بنشوة ولا قبلت على الطب رشوة ولا استعملت الا  
حوالنج جيدة ان اردتم من ينصحكم والا فما تتقون ممن  
يفشكم . كل هذا يفعله وهو يشكو البطالة وضيق المعيشة  
فقلت قد شغلت قلبي بهذا الرجل فقال والله ما ذكرت  
من اموره الا احسنها وانشد

وأعرض عن أشياء لو شئت قلتها ولو قلتها لم ابق للصلح موضعاً  
ولولا اني لا اوثر الشر لجازيته على قبيح ما  
فعله معي في هذه الايام . قلت وما الذي فعل بك قال

نشرب هذا الدور واعرفك ففلاؤوا الاقداح واندفع  
الغلام وغنى

جس الطيبُ يدي جهلاً قفلتُ لهُ اليكَ عني فهذا يومُ بجراني  
فقال لي ما الذي تشكو قفلتُ لهُ اشكو اليكَ هوىً من بعض جيرانِي  
فقامَ يعجب من قولي وقالَ لهم انسانُ سوءٌ فداووهُ بانسانِ  
ثم هـزجهُ

وهابكُ علةُ تشكى اطبَّ ولكن الملبحُ لهُ دلالُ

— القسم العاشر —

﴿ في اعتذار الطيب المصروف وذم الصارف لهُ ﴾

فلما شربوا قال الشيخ اسمع ياسيدي حديثه . كان  
لي صريض يهمني امره فكنتُ الازمةُ واساهرهُ وارصد  
الطيمة في افعالها واراعي انداراتها ومجارينها واقايس بين  
قويها وضعيفها وبين العلامات الرديئة عليها والجيدة لها  
واقابل بين القوارير وانظر بين رسوب هذه مع رسوب  
هذه وقوام هذه مع قوام هذه ولون هذه مع لون

هذه لأعلم آخر الابتداء والتزيد واول الانتهاء والانحطاط  
في المرض خوفاً من استعمال دواء في غير وقته فاكون في  
طريقة والتابعة في اخرى فيتطرق علي ما تطرق علي  
قلاع الاضراس من قلع الضرس الصحيح وترك السقيم  
وكنت اراعي الادوية والاشربة والاضمدة وضلاح  
الاهوية لان الطبيب اذا دخل على المريض يحتاج ان  
يكون كاشجاع الذي يدخل الحرب وقد اعد جميع ما  
يقه ويقاتل به فانه لا يعلم اي خصم يثور اليه وباي  
سلاح يأتيه وباي حيلة يأخذه . وكذلك الطبيب يحتاج  
اذا دخل على المريض ان يكون عارفاً بتركيب البدن  
ومزاج اعضائه والامراض الحادثة فيها واسبابها واعراضها  
وعلاجاتها والادوية النافعة فيها والاعتياض عما لا يوجد  
منها والوجه في استخراجها وطرق مداواتها ليساوي بين  
الامراض والادوية في كمياتها ويخالف بينها وبين كمياتها  
فما زال يثقل على المريض بسؤال العواد ورقاع الاصدقاء

حتى صرفني واستطبتة فوالله لقد وجدت بذلك راحة  
واستراح مني خدامه وانصيادلة وباللّٰه اني ما احسده لكن  
ان قلت لك اني لست مغتاظاً منه فلا تصدقني لان المثل  
يقول اشد الناس غماً الذي نزل غيره في المكان الذي  
هو احق به منه ولكن اعلم ان هذا قد بلى به  
الاخوان من قديم الزمان فان السبب الذي به يدرك  
الماجز بنيتة هو السبب الذي يحول بين الحازم وطابته  
على انه قد قيل ان طيب النفس حسن الانصراف عما لا  
سبيل اليه فاحق ما صبر عليه ما لا يوجد الى تغيره سبيل  
وقد فقد الصبر

ومن اين لي صبرٌ وفي كل ساعة ارى حسناتي في موازين اعدائي  
الساعة انا اصدق ان هذا الطيب الجديد مثل طيب  
سنة خمس وتسعون سنة وهو مادبر قط مريراً بهذا التدبير او  
عرف هذه القوانين او جرب هذه الامراض او رقم هذا  
البرد او جهز هذا الملاج للمرضى او ظن به انه مما يتعامل

به الأطباء او سمع به او عمله او خطر به الله حتى انه  
يستعمله فان انا اعتقدت هذا فاني اظلمه وقد بلغني ان  
هذا الدجال غير هذا التدبير بمدي ولم يمض على قانوني  
واراد ان يظهر صنعة أخرى تودي بحياة المريض ولكن  
لا يصلح لاصحاب هذا الزمان الامثلة لانه متمحل وبلغني انه لا  
يكلم احداً الا بالميزان. اين هو منا نحن الذين نعتقد في المرضى  
انهم اولادنا واخواننا بالله لو انك شاهدتني في صلاتي  
لرأيت منظرًا عجيباً فان الناس كما قد علمت واحد يسأل في  
صلاته سمعة الرزق وآخر خاتمة خير وانا امده يدي واسأل  
في رسوب ايض ونفت امس وعرق كثير وبول غزير  
ومجلس كبير واقول في تهجدي يارب عبدك فلان هي  
ليلة بحرانه جد عليه بمرقة وفلان به نقرس جد عليه  
بنومة. قلت يامسيدي سل الله ان يرزقك ما يغنيك عن هذا  
فضحك الشيخ وقال ما كان مثلك الامثل من ضربه القولنج  
فبقي طول ليلته يسأل الله سبحانه ان يفرج عنه بريج

فلم يكن فلما آيس من الحياة قال يارب ارزقني الجنة فقيل  
له انت طول الليلة تسأله في ربح ما أجابك أتسأله في جاز  
عرضها السموات والارض ولكن كان يجب ان تشير  
بهذا لو كان دعائي مستجاباً والله ما دعوت لاحد قط فافان  
وان الذي دعوت له بالاسهال قد ضر به القوانج والذ  
سألت له في عرقه الحمى عليه مطبقةً وسبب ذلك ان  
القوم لا يظنوننا شيئاً بنصيحة ونحن لا ندعو لهم بل  
خالصة نعوذ بالله من كساد الاطباء ونفاق المرضى  
ان لي مع هذا الوغد مقامات يعرفها واموراً لا ينكره  
من ذلك اني سألت يوماً على جهة المداعبة لم صار  
الكلب ينفع في الدباغة وخي البقر في القصاراة وزبل الد  
يحل الذبحة وبعر الضب يجلو اثر القرحة؟ فكاني القم  
بهذه المسائل نجواً ثم رأيت ان اغيظه بمسئلة أخرى فقد  
له لم النجو عند الاستجاء على ما به من الكراهة تنظرة  
منه اليد بالماء ولما كان غذاءً طيباً لا تزول عنها رائحته

إلا فيه عطرية وجلال كالسعد والاشنان؟ قال لا اعلم قلت  
ثم صار البول على الاكثر اذا برد ثخن وتكدر وكل  
المصارات اذا بردت رقت وصفت؟ فقاطمني ومضى يقرع  
لحنه على ما فات من زمانه ايام الحداثة حيث كان العود  
وطباو الطين لينا ويتأسف باسف الغلام الذي ذكره جالينوس  
نات وما قصة هذا الغلام؟ فقال قال جالينوس ان الصبي  
يلذي يشغله حسنه عن العلم في ايام الحداثة اذا هجره  
لأخباره وهو خال من فضيلة قال ياليت حسني لم يكن  
معى قلت ياسيدي هذا الذي بينكما لا ينصلح قال ليس كل  
الامراض تستطب كم من مرة رام الرؤساء اتفاقنا وخلم  
يورك مع ثلم الافرينز (١) هيات ان يعود الى ما كان عليه  
تلكم تجتهد المرضى في اصلاح ذات بيننا من غير علم منهم  
تباطن امرنا فيخيطون ناحية من الدمع فلا ينفع ذلك  
بالاجتهاد لان الذي بيننا جرح له فوران لم يكشف لم يصل

(١) الافرينز من الحائط طنفة وافرينز الورك حافة الحق

اليه دواءً وربما التحم على فساد فيبقى قليلاً ويستقضى  
والنكسة اشد من المرض فيبقى مدة متقاطمين ثم يهود  
كلانا على دغل منه

وكم من مرتدٍ (١) للصلح يوماً فلم ينجح بذلك الارتداد  
لان الجرح يُنقضُ بعد حينٍ اذا كان البناء على فساد  
وكم اتقاضى على كثيرٍ من الاشياء واتناسى كلما  
جرى واقول لعل وعسى . وكم اتأول واقول قد قال الاول  
لعل عتاك محمود عواقبه فربما صحت الاجسام بالعلل  
فيرجع الى قبيحه الاول فاهجره فيمود معرضاً بالسلام  
ماتمساً للمودة ولا يعلم ان من الحق التماس الاخوان بغير  
الوفاء ومودة النساء بالمفاظة والجفاء

فأما ان تكون اخي بحقٍ فاعرف منك غثي من شميني  
والا فاطرحني واتخذني عدواً اثيقك وتنقيني  
فاسمع واسكت واتعافل عنه وانا اشتغل فلا اشهر

(١) اسم فاعل من ارتاد اي طلب

الا وقد ضربني في مفصل ولا يعلم ان الفأس تقطع الشجر  
 فترجع وتثبت والمبضع يقطع اللحم فيندمل واللسان لا يندمل  
 جرحه ولا يلتئم قرحة والنصل من الشباب يعقب (١) في  
 الجوف ثم يتزع واشباه النصال في القول اذا وصلت الى  
 القلب لم تنزع ولم تستخرج ولكل حريق مطفى بالنار  
 الماء وللسم الدواء وللحزين الصبر وللمشق السلاوة ونار  
 الحقد لا تنجو وقد غرس هذا الرجل بيننا شجرة العداوة  
 ولولا انه قليل الحياء كثير المناء لكان اشتغاله بنفسه  
 وشروعه في مداواة مرضه انفع له فان المثل يقول اذا  
 كان في جوارك جناية وليس في ديارك دقيق وصبيانك  
 جياع فلا تمض وتمز جيرانك فصيبتك اعظم من مصيبتهم  
 قلت ياسيدي اي شيء فعل قال اضرب عن هذا واستعد  
 بالله من مصائب الزمان والله لولا انه عندي كالولد ولا  
 احب غيبته والا عرفتك من مقابحة ما لا يظن ولا يتوهم

أنه يمنع الناس من مخالطته لكننا نقطع حديثه لئلا نكون  
 كالمغتربين له قلت ياسيدي حاشاك من الغيبة لكن بقي  
 لي شيء واحد سألك عنه قال قل قلت على من قرأ هذا  
 النبي؟ قال على اجل من وطىء الحصى ممن تعرض لعلوم  
 القدماء لكن ماذا ينفع حضور العلة الفاعلة اذا لم توجد  
 مادة قابلة كالكتاب على الماء كلما خط انمحي على انه والله  
 قد تعب واتعب باكثره القراءة والدراسة لكن يجب ان  
 تعلم ان مراتب المتخالفين في هذه الصناعة ثلاث واحد  
 يقرأ كثيراً ولا ينطبع فيه كالناقة الذي يظن انه بكثرة  
 الغذاء يخلص ولا يعلم انه يقبل الاعضاء للغذاء والتصاقه  
 يسمن لا بكثرتة فهو كلما اكل واكثر لم ينم جسده ولم  
 يتزيد وآخر يقرأ كثيراً ويفهم فهماً ردياً فهذا يجري مجرى  
 المبطون الذي شأن غذائه ان يستحيل وربما فيه تضخف قواه  
 وتثقل اعضاؤه. والجهال في هذه الرتبة اثنان واحد يعرف  
 قدر رتبته ولا يتعدى وظيفته لعلمه انه من المقصرين

فلا يتعدى وصف البرور والسكنجيين وآخر يزهو بجهله  
على غير علم كالوارم الذي يتظاهر بالشحم وهو لشدة ما  
يقاسيه في جهد وانشد

وقد يلبس المرء خير الثياب ومن دونها حالة مضنيه  
كما يكتسي خدّه حمره وعلتها ورم في الرية  
ولهذا قال جالينوس الجهل بالجهل جهل مضائف  
وهب سلمنا له بالعلم ماذا ينفعه بلا عمل فانه يقال ليس  
شيء اهلك للمريض من طيب يحسن القول ولا يحسن  
العمل فان صاحب العمل وان قصر به القول في مستقبل  
الامر فسيبين فضله عند الخبرة وعاقبة الامر وصاحب  
القول وان اعجب ببديته وحسن صنفته لا يحمد غيب  
امره . وان الطيب الذي يعول في مداواة الامراض والمرضى  
على تنسيق الكلام واقامة المعاذير يريد هلاك المريض من  
دون التدبير الشديد كالذي يشرب السم اتكالا على ما عنده  
من الترياق . فقد بان ان حسن العلم لا يتم الا بالعمل واذا

عرف المريض دواء مرضه عند ما كان صحيحاً ولم يتداو به لم يقنه علمه به في صحته ولم يجد له راحة ولا خفاً وبالضد ثم التفت الى تلميذه وقال قد شفنا عن لذتنا بنبذة من ذكره هات قدحي فلاًوا الأقداح واقترح على المغني قال لي عاذلي ولم يدري ما بي اتحب الحياة ما عشت حقاً فتنفست ثم قات لعمري قد جرى في المروق عرقاً فمرقا قد لعمري ملّ الطبيب وملّ م الأهل مني مما أقاسي والقى اينني مت واسترحت فاني ابدأ ما حبيت فيها ملقي (١) فغني وشربوا وطربوا وضرب الغلام هزجاً بهذه الايات

يا مرضي بغيبه ومعدني برقيه

يا مانعي بصدوده حلوا المنام وطيبه

لم لا تجود لعاشق اسرفت في تعذيبه

اعيا الطيب دأؤه فبكته عين طيبه

فصاح صاحب الدار وقال هذا وملحم الخروق

ومجرب في الدم في العروق لو كتب بالأبر على البصر لرؤي  
 احسن منظر فهضت الجماعة وشربت قياماً ساراً (١)  
 لصاحب الدعوة . فتقدمت اليه منتهزاً للفرصة وقد هزته  
 الاريحية وقلت هل لك ياسيدي ان تسقيني قدحاً ادفع عني  
 به ضرر المضيرة وتشركني والجماعة في هذه المسرة فقال  
 ان كنت مستحقاً له قلت وبماذا اكون مستحقاً له قال بان تخبرني  
 عقيب اي حركة التنفس تشربه اء عقيب حركة الانبساط ام  
 عقيب حركة الانقباض؟ فاذا شربته اي حركة يتحرك القلب  
 بعدها اء ضد ما قطعت عندها ام مثلها؟ فذهبت امسك نفسي لا نظر  
 ما هو الجواب وقال لي ما شبه هذا منك الا بما حكاه  
 ابن قتيبة في ادب الكاتب عن الذين لما سئلوا عن عدد  
 الاسنان جعلوا ايديهم في افواههم ليعدوها ثم قال هذا

(١) السار المفرح ولعلها اللفظة التي طالما بحث عنها الادباء  
 ليستعملوها في التعبير عما يكون في الولايم والمادب عند الشرب  
 وقد استعمل بعضهم لفظة النخب فقال شرب نخبه والعامه تقول  
 شرب سره

وما سألتك متى يكون نبض الجنين موافقاً لنبض الحامل  
ومتى لم يكن موافقاً؟ ولا عن الانقباض أهو اقدم من  
الانبساط؟ ولا عن العلة التي من اجلها اذا فتح الانسان  
شفتيه ونفخ نفخاً حاراً فاستخن الاشياء الباردة واذا ضمهما  
ونفخ نفخاً بارداً فبرد الاشياء الحارة؟ ولا عن العلة في ان  
النفخ البارد يلهب النار الكثيرة ويطفئ النار القليلة؟ ولم  
صارت حركة الشرايين والقلب واحدة وحركتهما وحركة  
التنفس مختلفة؟ ثم قال لي أتعلم شيئاً من ذلك قلت لا قال  
أف تعلم ان منفعة الانبساط بالذات ادخال الهواء البارد  
وبالعرض مصُّ الاشياء المائية كالماء والشراب والمرق  
والنقاة (١) والتنخع وشم الروائح الطيبة؟ قلت لا قال  
أف تعلم ان منفعة الانقباض بالذات اخراج الهواء الحار  
واعداد هواء الترويح وبالعرض تصويت الحيوان والكلام  
والسعال والزهر والنفخ للنار والجشاء والبصاق والفواق

(١) النقاة من كل شيء الماء الذي ينقع فيه

ودفع الرواح الكريهة والاستنتار (١) وبجميعها يتم التناوب  
والضحك والبكاء والتهدد وتنفس الصعداء والتأفف  
والعطاس؛ قات لا قال فاشرب قدحاً واحداً على جهة  
الرحمة لك فملائت قدحاً الى رأسه فقال جودت هذا كانه  
خط العلماء بلا هامش قلت ياسيدي هذا الى الخط المستقيم  
فاغتاظ وقال ياغبي المستدير لا يكون عليه خط مستقيم  
لكن اما دائرة او قوس واخذ القدح من يدي فشربه  
وقال مجالسة الجاهل هي الروح وانشد  
لا انسن الا في مجالس تلقي بفنائها الاشكال والنظراء  
ان الجهول تضرني اخلاقه ضرر السعال لمن به استسقاء  
ومثل ذلك قول المتنبي

واحتمال الاذى وروية جانبه م غذائه تضيى به الاجسام  
وما احسن ما قال حكيم الفرس مقاطعة الجاهل توازي  
صلة الماقل. وبدأ وقد هزته الاريحية وقال آ ترى من لهذا

الامر بعدي ذهبت والله الصناعة البقراطية والعلوم الطيبة  
وانقبضت اطرافها وتقطعت اهدابها فشخصها مأووف  
وطرفها مطرووف وصار الطيب اذا دخل على المريض  
فهو بين ان يفصده ان بعد عهده ويمنه الفصد ان قرب  
عهده به ويسهله ان وقف طبعه ويحبسه ان سهل ويبرده  
ان سخن ويسخنه ان برد وينعاه اذا رآه قلقاً ويبشر  
بصحته اذا رآه ساكناً هادئاً كل هذا لانه المسكين لا يعلم  
ان كثيراً ما يكون القلق اصالح من السكون والاختلاط  
اصالح من التيقظ وسواد الاطراف اجود من بياضها وان  
كثيراً ما يستعمل الطيب الدواء المسهل فيمن طبيعته  
ممسكة ليسهلها وان كثيراً ما يعالج الحار بالحار والبارد  
بالبارد ويستعمل مع المرضى ما يضعف الاحساس والقوة

القسم الحادي عشر

في استهانة العامة بالصناعة الطيبة

ولولا عجز الاطباء عن هذه الامور لما استهان الجمهور

بالصناعة الطيبة واستدلوا على نقضها من اراجيز الشعراء  
واقوال العامة فضربوا لها الامثال وسحبوا عليها اذيات  
المقال فواحد يقول

ما للطبيب يموتُ بالداء الذي      قد كان يشفي غيرهُ فيما مضى  
هلك المداوي والمداوى والذي      جلب الدواء وباعهُ ومن اشترى  
وآخر ينشد

والناسُ يلحونَ الطبيبَ وانما      غلطُ الطبيبِ اصابةُ الاقدار  
وآخر مجرد ويقول هذا كاه هذيان والذي اعلم ان  
ابن ثلثين سنة لا يموت ابن عشرين ولا يعلم ان هذه  
قضية قد قتلت مئة الف قتيل وآخر يقول الموت سييل  
لا بد منه وانما الطبيب مطيبٌ لقلوب وهذا كله جوابُ  
لمن قال ان الطبيب ضامن درك الحيوة وان الطبيب يشفي  
سائر الامراض وآخر يقول مالي اعذب نفسي بالحمية ها  
فلان الطبيب ما يزداد بالحمية الا صفرة (١) ومرضاً ولا يعلم

انه لو لم يحتمل مات وواحد يقول انا آكل واشرب واترك  
التداوي واتكل على الله وقائل ذلك اذا مرض له حمار  
قبل فيه بمشورة البيطار وكان يجب بحسب رايه ان يتركه  
ويتكل على الله . على ان الطبيب لا ياصر بالتداوي وينهي  
عن التوكل على الله . وآخر يقول كم مرضت وبرأت بلا  
دواء ولا يعلم انه لو استعطب كان اسرع في برئه وانه  
سيأتي عليه وقت لا تفي فيه القوة لدفع المرض ولا يجده  
من الطبيب معاونة فيهلك . وآخر يقول كم قد تداريت  
واختمت فلما خاطت برأت ولا يعلم ان التخليط صادف  
بالاتفاق فناء مادة المرض فبرأ وان اناساً كثيرين خلطوا  
قبل فناء هذه المادة فهاكوا وانشد

عابَ الطبيبَ اناسٌ لا عقولَ لهم وما عليه اذا عابوه من ضررِ  
ماضٍ شمس الضحى والشمس طالعة ان لا يرى ضوءها من ليس ذا بصير  
وهذه الطوائف الجاحدة لفضل صناعة الطب اذا سمعت

الطيب يقول هذا الغذاء يضر كذا يقولون كم قد  
اكلناه وما ضرنا وما يعلمون ان الطبيعة تحامي ما امكنها  
عن نفسها وتمجز عن الحمامة فتعطب ويقولون ما دام  
الانسان خبز عند الخباز فما يضره شيء فاذا جاء ابوضايط  
ما ينفعه شيء ويسمون الخبز الحياة وممعلي الحياة الخباز  
ويكنون الموت ابا ضابط. واذا قيل لهم ان الترياق ينفع  
السموم قالوا ها الترياق وها الافعى من ادعى فليبرهن  
واذا ذكر الشبض لهم قالوا هاتان امرأتان احدهما حامل  
والاخرى عاقر عرفونا احدهما من الاخرى من نبضهما  
يريدون من الطيب ان يعلم من كل شخص ما هو معلوم  
الله منه على الحد الذي لا مزيد فيه ولا نقص منه ولا  
يقنعون بما لاح لامينه وتجلي لبصيرته لانهم لا يفهمون ان  
هذه الصناعة تجيء بالممكن واذا عضدت بالتوفيق كانت  
كالضروي فليس لان احكامها ايست مدركة ومحاطاً  
بها في كل شخص يجب ان تكون مرذولة ومطروحة بل

تكون متوسطة بين ادراك البنية وعدمها وايس لان بعض  
المرضى هلك لا ينبغي ان ينظر في الطب ولا بسبب ان  
بعض المرضى بريء بالطب وجب ان يعول عليها في البرء  
ابداً والحكمة توجب توسط هذا الامر حتى يشكر الله من  
ينجو او تسلم نفسه من الهلاك ولهذا استصعب بقراط  
القضاء والبت بما يؤول اليه امر المرضى . وان رأوا طبيباً  
يقراً في كتاب قالوا له مستهزئين به أفي هذا دواء لموت؟  
فاذا قال لا قالوا ما هذه الكتب الا خرافات صدرت من  
عجائز خرافات وما يزيد في أجل العالم علمه ولا ينقص في  
عمر الجاهل جهله وما الامر الا كما قال ابو غسان الطبيب  
حكم كأس المنون ان يتساوى في احتساها الغبي والاعمى  
ويحل البليد تحت ثرى الارم ض كما حل تحتها اللوذعي  
أصبحت رمة تزايل عنها فصلاها الجوهري والعرضي  
وتلاشى كيانها الحيواني وتوارى تقويمها المنطقي  
وهذا الكلام من الايجاز على غاية الاضمحلال والفساد

فليس تساوي الناس في الموت والفناء حجة في عدم البقاء  
والمراتب في الدار الآخرة والناس قد يتساوون في السفر  
إلى المدينة ويتزينون إذا وصلوا إلى المستقر بحسب المنزلة  
بما صحبهم من الذخائر والامتنعة هذا بيان بحسب الاختصار  
وفيه كفاية . ويمضمون البيطرة على الطب لأنسهم بالبهائم  
وشبههم بها وينظرون بالمحبرة (١) ويسمونها خرزة الشوئم  
ومحرفة (٢) الحرفة وإذا رأوا طبيباً مكباً على العلم قالوا  
مقرون بالحدق ضيق الرفق (٣) وإذا تكلم ودقق في مسألة  
قالوا سوداوي<sup>٢</sup> اعتقاداً أن العلم يخرج إلى الجنون فإن لم  
يفهموا ما يقول قالوا هذه زندقة فإن نظره فريق<sup>٢</sup> منهم  
النشد الفريق الآخر

وماتنقم<sup>٢</sup> الآداب<sup>٢</sup> والعلم<sup>٢</sup> والحجبي<sup>٢</sup> وصاحبها بعد الكمال يموت<sup>٢</sup>

(١) الدواة

(٢) آلة الكسب

(٣) أي الانتفاع يقال ارتفعت به أي انتفعت به

ولا يقولون في الاغذية حارة وباردة لكن هذا  
 غذاء ميال يريدون مستحيلاً كالبطيخ وهذا بطبع الموت  
 اي انه بارد يابس ويسمون الرطب ليناً ويقولون ان  
 الشمس بطبع الحمى والبلوط قولنج وهذا كله قريب وانما  
 المصيبة العظمى اعتقادهم في الكافور والثلج انهما حاران  
 وفي الرازيانج (١) والحناء انهما باردان وان ماء الشعير بطبع  
 الصفراء كل هذا من عجز الاطباء وقلة خبرتهم بكتب  
 القدماء فانقضت الصناعة ووهى نظام سلكها وأخلق  
 جديدها وتفرق ايدي سبأ عديدها فهانت في النفوس  
 ودبرت (٢) عند الناس وخت من الفضلاء فصار الآن  
 يتعاطاها القوابل وقوام (٣) الهياكل ويمتادون (٤) في

(١) بقله وقيل هو الانيسون وقيل الشمر

(٢) ماتت

(٣) جمع قيم

(٤) اعتاد الشئ اتابه اي صيره عادة لفسه يقول انهم اتخذوا

عادة لانفسهم ما يصفه الاطباء للمرضى

صفات الاطباء فذهب رونقها وأخلفت بهجتها وصارت  
كافضل الذي لا يحتاج اليه وبطل الطب البقراطي وظهر  
طب لم يأمر الله سبحانه على السنة اصفياً به بشيء منه .  
فبينما هم في الكلام اذ طرق الباب مريض فاذن له  
في الدخول فلما حضر سلم وجلس واستأذن في وصف ما  
يجده فاذن له فقال ياسيدي اني اجد نشفاً في في ورياحاً  
في أحشائي واعتقالات في طبعي وبصاقاً وبلاغم في معدتي  
ورطوبات تسيل على مخدتي واذا شربت البارد ازداد  
لهباً واذا شربت الحار سكن في الحال أكثر ما اجد ومع  
هذا بينما تراني ضاحكاً حتى عدت باكياً . آمالي قصيرة  
وافراحي يسيرة هضمي قليل وغذائي كثير حشاي يحترق  
وبولي ابيض يقق . واذا شكوت ما بي الى الاطباء نسبني  
بعضهم الى الكذب ولم يزدني آخرون على تحريك الرأس  
والمجب . قال الشيخ هذا مما كنا فيه قد صدقت في  
جميع ما ذكرت وهذا مرض ينفع فيه العلاج بالاشياء

الحارة وكلال ما ذكرت اسباباً واضحة يحتاج شرحها الى  
 زمان ممتد وتفريغ قلب وعقل جيد فقول على الحمية وعد  
 اليّ دفعة ثانية فودعنا وانصرف فاوهماً الى تلميذه وقال غنّ  
 صوتاً فاندفع يعني

منه للكري وظيف الخيال جددت بيننا عهد الوصال  
 كان قد ساعد الرقيب بها لو لم لا فضول السوار والخالخال  
 فالتفت اليه مفضباً وقال اين نذهب بك؟ أهذا من  
 اقتراحات الاطباء واصوات الحكماء؟ أما علمت انه قبيح  
 بالمعنى ان يعني في تموز

قني بالله يامطرُ فكثرة ما يجي ضررُ

وقبيح ان يعني بالمشي

تصبح بوجه الراح والطالم السعد

وقبيح بانه يعني في المرس

احسن ما كان تفرقنا ففاننا الدهر وما خناً

وقبيح ان يعني لشريف

لك عيد الصليب تلعب فيه ولنا المهرجان والنيروز  
ثم قال عن احد اصواتي التي اقترحتها في مبداء  
سكري فاندفع وغمى بشعر العباس بن الاحنف

زعموا لي انها باتت تُتحم ابلى الله بهذا من زعم  
اشكت مما به كانت كما يشتكى البدر اذا ما قيل تم  
ايت بي شكواك يا سيدتي فلك الاجر وان طال السقم  
فشربوا وملاءء والاقداح فمزجه في شعره ايضاً

يا ايها المحموم نفسي فداك مالي من الدنيا سرور سواك  
قد كان بي سقم وقد زادني سقمك سقماً وبلاني بالاك  
فليتني حمت عنك الذي تلقى لكي يجمع هذا وذاك

فطرب ابو ايوب الكحال وقال اسمعوا يا اخوان  
الصفاء وبقية العلماء فوحق منشىء الطبائع ومبدىء  
البدائع لو كتب هذا بالمباضع في المسامع وقع اجل المواقع  
فشرب القوم وطربوا وزاد الشيخ في حد الانتشاء فلما  
دبت فيه حميا الكأس وانتشرت منه في المفاصل والرأس

أخذ في هذيانه وبث أشجانه وقال ياخي قد تعبت في جمع  
العلم وكددت نفسي في قراءة الكتب وما بلغت بهنائة  
الطب غرضي من الكسب وسبب ذلك ان سروات الناس  
قد سقطت ونفوسهم قد خست وصغرت وقد مضى  
العمر وكبر السن وانا ماض وما اخلف ولداً يحيي ذكري  
ولا حياً يبكي على قبوري وتمثل بقول الاول  
تذكرت من يبكي علي فلم اجد سوى مجلسي في الطب والعام والكتب  
ثم ارخى عينيه ساعة بالبكاء وانصرف القوم  
❦ القسم الثاني عشر ❦

❦ في خاتمة الكتاب وذكر سبب انقطاع الزيارة والاجتناب ❦  
وبقي ابو جابر تلميذه فالتفت الى غلامه وقال  
اسقني قدحاً وقال غنني بقول الشاعر  
يموت راعي الضأن في جهله مية جالينوس في طبه  
وربما زاد على عمره وزاد في الامن على سربه  
ثم مال على جنبه نائماً فهضت على رجلي قائماً

فلما هممتُ بالانصراف قال لي الغلام أتمضي ياسيدي  
وتتركني وهذا المسكين الذي قد كبدَّ يومهُ وغنى حتى  
يجَّ حلقهُ جائعين . فقلتُ وما سبب جوعكما وفي الدار طعام  
فقال متى انصرفت لم اتجاسر على سقيه ولم اقدر على  
التعرض به . وان ائتت احتجاجتُ بك ودخلتُ انا وهذا  
الفتى ي غارك (١) فصغت نفسي الى اطعامهما وسقيهما  
فيضاً (٢) من شحهِ ومكافأة على بخله فاعاد الحمل وقدم  
الطبق فلم ينبق ولم نذر . وعدنا الى الفالوج فاشنينا على  
بقيته وملنا نحو الشراب فشربتنا فضلتهُ وغنى ذلك الفتى  
نُبأتُ ان النار بعدك اُضرمتُ واستبَّ بعدك يا كليب الجلس  
وتحدثوا في أمر كلِّ عظيمٍ لو كنت شاهدهم بها لم يبتسوا  
وطاب الوقت واتصل الشرب . بيننا وبيننا نحن على

(١) يقال دخلت في غمار الناس اي في زحمتهم وكثرتهم واصلاه

من الغمر وهو الستر والتخفية

(٢) مصدر غاض الماء اي نهض وقل ونضب

هذه الحال اذ رقع الشيخ رأسه متيقظاً فلما رأى وقد تفرغ  
الجام من الحلوآء وابيضت عظام الشوآء قال ما هذا  
التبسط في منزلي والتحكم في مطعمي ومشربي . قلت  
تذكرتُ قولك قال وما هو قلت

أضحك ضيفي قبل انزال رحله فيخصبُ عندي والمحلُّ جديب  
قال الاشرار يتبعون مساويء الناس كما يتبع الذباب  
المواضع الفاسدة من البدن . قلت ياسيدي ما تناولنا منه الا  
القليل وكنا قادرين على الكثير . قال صدق افلاطون  
في قوله « لا تصحبوا الاشرار فانهم يمنون عليكم بالسلامة  
منهم » أما تعلم ان كل اصفهات يأتي على الجمال ويفنى  
بالاميال قلت ياسيدي انت دعوتني الى منزلك وعرضت  
عليّ طعامك وشرابك فما زرتُ مثقلاً ولا حضرتُ  
عندك متظفلاً قال قد فعلت ما هو اقبح من التطفيل  
واصعب من التثميل لانك حرزتي (١) من نفسك

(١) اي جعلتني احترز

وزعمت انك لا تقدر على شرب الشراب وارك تكرع  
منه بالارطال والاقداح والذنب لي في الاغترار بك  
والانخداع لك . ثم استوفى على نفسه اليمين انه لا يضيف  
غريباً بقية عمره ولا يأذن لاحد في دخول منزله فنهضت  
من عنده وغبت عنه عدة ايام وعاودت داره فاذا به  
صراعياً للطريق من شباك فلما نظرتني صاح يا غلام احفظ  
الباب والممرق فقد ورد الغرار الملق ( ١ ) واخاف ان  
يلج الدار ويتساق . فلما رأته بداته بالسلام وعمرته  
بالاعظام والاكرام فاعرض ولم يرد السلام فانشدت  
كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سافر  
فقال الشيخ

بلى نحن كنا اهلها فأبادنا صروف الليالي والطيب المسافر  
ثم قاطعني واغلق باب الشباك فكان آخر عهدي به

(٢) من املق اى افتقر والفرار صيغة مبالغه من غره غروراً  
وغرة خدعه واطمعه بالباطل

قد وفيما بما ضمنا بقدر ما جادت به القريحة وساعدت  
عليه العبارة وجمالنا الهزل طريقاً الى الجدد اذا كان الانسان  
متردداً بين الحس والعقل. وقد ذكرنا اسماً غير دالة على  
اشخاص معروفين ليصل الفهم الى القاريء بهم على وجه  
المجاورة ووسعنا الكلام لان اللسان اذا وجد مسرحاً  
لم يقف الخاطر واذا اصاب سخاءً لم يكف على اننا لو  
اردنا فرش الكلام لتعرضنا لحدوث الملل والسأم. ونرجو  
ان يكون ما اتينا به مدركاً لرضى من حث على نظم منتشره وجمع  
منتشره. والله نسأل ان يخرجنا من هذا الفناء المحشو بالمنايا بعد  
المنايا (١) الى حضرة القدس ومقر الانس مع مراد النفس في  
ملكوت السماء حيث لا يتمذر مطالب ولا يفقد محبوب  
انه سميع مجيب

تمت الرسالة بحمد الله ومنه وحسبنا

الله ونعم الوكيل

كتاب التكملة

الطبيب المشهور والخبير

الشيخ محمد بن عبد الله

## المقدمة

ترى أيها القارئ اللبيب أن هذا الكتاب وقد تمثّل لك في صورةٍ من حسن الطبع يرتاح إليها النظر . وتجميل بتصحيح عبارته . وتهذيب بعض الفاظه على طريقة لا يعجزها الذوق ولا ينبو عنها البصر . حريٌّ بأن تحلّه محلّ القبول والاستحسان . وتفسّح له من بصيرتك النقّادة مجال التروّي والامعان . وتندب ربما تضمنه من الحكم الناصعة . وتعمل بنصائحه النافعة . وتسفيد من آدابه الرائعة . وإذا شئت ان تعفيني من تنميق الكلام وتطريزه . في مدحه وتقريظه . تحاشياً من ترديد النغم الواحد لثقله على السمع . وتنكياً عن خطة التحدّي لأنها صارت نافرةً على الطبع . فاستأعفيك من ان ترجع معي القهقري تسعةً من القرون . وقد نقّص ظلّ الدولة العربية عن بغداد دار العلوم والفنون . لدرى كيف يكتب المصنف بلغة ذلك العصر . روايةً كما نور الزهر . موهةً بها الجدد بالنكات الهزلية . وضمّنها من الحكم الفلسفية . والوصايا الصحية . والمسائل الطبية . ما يستفيد به كلّ انسان . فكأنها تنطق بكل لسان . او كأنه من أبناء هذا الزمان . وقد ألف حواليه المنخرقون . وهو يحاول تقويم المناد

واصلاح الشؤون  
وإذا كنت

لا ترى دور الأوائيل "شيئاً" وترى للأواخر التقديماً  
فلا يسمعك إن تنكر

ان هذا القديم كان حديثاً وسيبقى هذا الحديث قديماً  
فرب قضية مسئلة الآن . ستُنقَضُ في مستقبل الزمان .  
لعدم تمتتها بالبرهان . وثبوتها بالعيان . ولا مرآة في أن العلم قد  
وشجت لهذا العهد أعرافه في تربة التحقيق . واخضلت أوراقه بعد  
اذ سُتِي بِمَاءِ التَّمْحِيسِ والتدقيق . على ان فضل القدماء لا يُنكر  
والأغضَاءُ عن بيان فضلهم لا يشكر . ف نحن انما بثينا على اساسهم .  
واهتدينا بنبراسهم . على ما ستوضح في هذه المقالة التي اقترحها علي  
بعض الاصحاب . فلم اجد ندحةً عن الاجابة رغبة في تسميم  
الفائدة للطلاب

وان تكن محكمات الشكل تمنعني ظهور جريٍ فلي فيهن تصهال  
لكن رأيتُ قبيحاً ان يُجادَ لنا وانما بقضاء الحقِّ بُجَالُ

